دقات العاشرة

عمرو مزوق

كتاب: دقات العاشرة
تأليف: عمرو مرزوق
الناشر: أدباء ٢٠٠٠
الطبعة الأولى ٢٠١٨
رقم الإيداع: ٣٦٨٢ / ٢٠١٨
تصحيح لغوي: محمد فايز
إخراج فني: محمد فايز
تصميم الغلاف: محمد علي
المدير العام : منة عامر
حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع-٢٠١٧

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أونقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقةخطية من الناشر مقدما

دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع

نشر – توزيع

0020/01020812429 –01099654718

ان عقولنا اشبه بالمحيطات.. نستطيع احيانا ان نبحر فيها.. ولكننا لا نستطيع ابدا ان نسبر اغوراها.. ولنكتشف فقط ما هو مقدر لنا ان نكتشفه.. فهي اشبه بجبال الجليد التي يظهر لنا فقط ربعها.. اما الثلاث ارباع الاخرى فدائما تحت سطح الماء...

د/عمرو م. مرزوق

كان ذهنه مشوشا فقد كانت هناك افكار كثيرة كانت لاتزال تدور في رأسه.. مما جعله يدور في أنحاء غرفته كالمجنون بحثا عن لاشي.. وبالطبع لم يستطع ان يخفى توتره الملحوظ فجلس الى مكتبه.. وامسك قلمه بيده المرتعشة محاولا كتابة عدة سطور.. ارتعش القلم أكثر في يده.. حاول ان يلقيه لكنه لم يستطع كأنما خلقا من عجينة واحدة.. اغلق عينية بشدة محاولا تذكر الاحداث الماضية.. لا تتواجد امامه اية ذكريات.. وكأن عشرات السنين اختفت تماما من ذاكرته بحيث لم تبق داخلها الا فكرة واحدة قد سيطرت على وجدانه.. امسك القلم بكل قوة وخط عدة سطور.....

((الجمعة ٣/١٢/ ١٩٦٥))

" وصلت اليوم متأخرا انا وصديقي فريد الذي الح على في الايام الاخيرة بقضاء عدة ايام انا وأسرتي على شاطئ البحر في فيلته الخاصة بالإسكندرية.. لأريح اعصابي المتوترة من العمل المرهق المستمر ورغم بعد المسافة بينها وبين القاهرة الا انه أصر على ان يسلمني بنفسه الى الفيلا تاركا اعماله الهامة لأمضى وحدي اسبوعا قبل ان تلحق بي زوجتي وابنتي في اخر الاسبوع لظروف خاصة.. فبناء على تعليمات طبيبي والذي أصر هو الاخر على تغيير الظروف المحيطة بي.. ولا أدري لماذا...؟ فلذلك وصلت على يد صديقي فريد لهذا المكان المنعزل في الشتاء.. حتى انني لم اعثر على أي شخص في الفيلات الصغيرة

المجاورة لنا لقلة رواد المدينة في ذلك الوقت فنحن في اواخر نوفمبر.. المهم انه تركني ليعود الى القاهرة حيث أسرته ومقر عملة.. لا أستطيع ان اكتب الان فأنا مجهد من السفر والجوع.. سآكل ثم سآوي الى فراشي"

تتوقف سطوره على هذه الكلمات.. يغفو قليلا في جلسته بسبب ما بذله من جهد خلال الساعات الماضية.. ويمر الزمن سريعا أمامه..

((السبت ١٩٦٥/١٢/٤))

" لا أدرى لماذا اكتب هذه السطور.. لم اكتب يوما مذكراتي ولكنها نصيحة من طبيبي الذي نصحني بان ارجع الى الورق كلما احسست بضيق وانا مشمئز مما افعله كأني شخص آخر فلم امر بتجربة كتابة وتسطير أحرف لما اقوم به يوميا ولم لا.. فقد كنت طوال عمري اندهش من اولئك الاشخاص الذين يتمتعون بالقدرة على سرد بدقة ما يحدث لهم يوميا وكتابة سطور حياتهم بدقة وحشوها داخل اوراق ربما لم ولن تسنح لهم الفرصة ابدا لقراءتها.. فأنا مثلا قد احاول تقليدهم واسرد انى قد غفوت هنا بالأمس على هذا المكتب في نومة غير مريحة.. وقمت مفزوعا على إثر كابوس لشخص رأيته خلال النافذة التي امامي مباشرة والتي لا يفصلني عنها سواء خمسون سنتيمتر.. لأن المكتب ملاصق

للحائط امام النافذة.. ما هذا الذي اكتبه ...؟ ربما اسرد تفاصيل وليس شكل تخطيط الغرفة.. انا كاتب فاشل.. المهم الكابوس كان هناك شخص ما يحفر في الحديقة الملحقة بالفيلا بعد منتصف الليل بفترة وبيده فأس غريب الشكل ها هوا حدث بعيد عن الاهمية ولكنى كتبته لمجرد حشو السطور رغم انى لا اعلم هل هو فعلا كابوس او واقع؟ فإحساس الفزع الذي سيطر على وقتها قد لاشي أي شعور بالحقيقة.. فهذا حدث غير مهم بالنسبة لي ولم لا فانا ايضا بعيد عن الاهمية.. اسمي محمد توفيق.. ربما لا أحد يعلم هذا الاسم او يتذكره فأنا مجرد صحفي مارست الصحافة أكثر من خمس عشرة عاما.. تنقلت بينها في عده صحف ما بين مراسل ومعد اخبار ومصور ومحرر.. وبغض النظر عن تربص بعض الدوائر الامنية في حياتي في الفترة الماضية والذي تعتبر من اسوا ما مر في حياتي.. يااه.. انزلقت في التحدث عنها رغم محاولاتي المستمرة لنسيانها ومرارة

تلك التجربة على حياتي.. وما حدث لي خلال ازمة الصحفيين الشهيرة منذ عدة سنوات.. وما حدث لي انا بالذات من السلطات نتيجة لآرائي الحرة والتي بسببها جعلتني أفقد ثلاث سنوات من حياتي منهم سنتين داخل أحد المعتقلات.. وما أدراك ما المعتقلات مع مختلفي الرأي مع السلطة.. كم هي مريرة تلك الايام التي مرت كسنوات داخل زنزانة مثل الكهف والتي ذقت خلالها شتى انواع العذاب التي لا يطيقها بشر.. تمنيت الموت مئات المرات ولم اتذوقه لما فيه من راحة من العذاب المستمر.. ولكنة كعادته لا يأتي اليك طالما تطلبه.. ولذلك كان له اشد التأثير على اعصابي وحياتي بعد ذلك فقد كان من المؤسف ان اخرج من المعتقل لأصبح نزيل احدى المصحات النفسية قرابة العشرة شهور خرجت منها اخيرا بعد شفاء علتي لأبدا مرة اخرى حياتي وعملي.. اه حياتي ربما تكون محدودة في عدة اشخاص لا يتعدوا اصابع اليد الواحدة.. فأنا غير اجتماعي بالمرة

فحياتي هي اسرتي وعملي فقط.. زوجتي ابتسام التي طالما وقفت بجواري طوال سنوات المحنة.. وابنتي الصغيرة امنية التي هي دنيتي الصغيرة فلا أستطيع النوم الا بعد الاطمئنان عليها.. ولا أدري كيف سأمضي اسبوع وحدي بعيدا عن حضنها الصغير وضحكتها التي لا تزال ترن في اذني ... كم اشتقت الى اللهو واللعب معها هذه اللحظة.. ولكنها نصيحة من صديق العمر فريد.. سامحك الله.. فريد هو محامي من القاهرة تربطني به صداقة عمر.. ومن ناحية اخرى فهو قريب لزوجتي.. اراه مخلص لي دائما يقف الى جواري اوقات شدتي..

نعود مرة اخري الى هذا السجن الملقب بالفيلا والتي منذ دخولي اليها اضطرب قلبي ولا أدري ما السبب...؟ ربما لعدم وجود اشخاص من حولي.. ربما من الهاتف الذي لا يعمل بالطبع.. ربما من الكهرباء التي تختفي احيانا بالساعات.. اكتب الان على

مصباح زيتي قديم قد يشبه مصباح علاء الدين.. وجدته في المطبخ.. لا أدري ما السبب الى سيجعلني أمضي اسبوعا داخل تلك القلعة الحصينة ولكنها نصيحته على أي حال والتي آخذ بها دائما رغم انى في اوقات كثيرة اشعر انى لا افهم فريد... مر اليوم الاول بي بدون ايه احداث فقد استيقظت بعد تعب وتناولت فطوري وذهبت لاستكشف ارجاء الفيلا... عدت الى كتابه التخطيط مرة اخرى فقد كانت من طابقين.. الاول عبارة عن صالة كبيرة وبجوارها غرفة معيشة بها عدة كراسي قديمة الطراز تتوسطها منضدة صغيرة رصت عليها زهرية زرقاء اللون.. اما بجوار غرفة المعيشة صالة اخرى لتناول الطعام وفى اخر الصالة يقع المطبخ.. والذي يوجد به باب يطل على الحديقة الملحقة بالفيلا.. كان بها نباتات غريبة الشكل غير متناسقة بالمرة وكأنها غابة صغيرة.. فقد اهملت النباتات حتى اصبحت على هذا الشكل المخيف وكأنها تتحول ليلا الى اشباح فهذا الشجرة تتمايل

امامي كأنها.. لا داعي لتلك التفاصيل الغريبة ...اما الطابق العلوي فيتكون من ممر فسيح به ست غرف واسعة ثلاثة على كل جانب.. ومنها غرفتي الى اخترتها لأنها تطل على البحر.. وفى اخر الممر يوجد حمام كبير وكل الغرف بها اسرة للنوم الا غرفتان غرفة بها مجموعة كبيرة من الكتب وان كنت اشك أن أحد قد اقترب منها لما يعلوها من كميات هائلة من التراب.. على الرغم من انى اشعر انى قرات الكثير والكثير منها.. اما الغرفة الاخرى فكانت المقابلة لي وكانت موصده ولم أجد أي مفتاح بالباب كبقية الغرف.. حاولت فتحها ولم أستطع بل لاحظت شيئا اكثر غرابة هو انى كلما حاولت فتحها اشعر بثقل وراء الباب وكأن هناك من يقف خلفة ليمنعني من الدخول...!!

تنقطع الكهرباء باستمرار كما قلت فهي لم تأتى الا قبل الغروب ولكنها انقطعت مرة اخرى الان.. كالعادة انا متعب تناولت عشائي منذ فترة.. اكتب الان وانا مستلقى على السرير.. بالكاد

المح السطور.. اه تذكرت ملحوظة غدا سأحاول افتح الغرفة بأي وسيلة وذلك لمجرد فقط الفضول "

استيقظ فجأة على صوت طفلة يأتي من الطابق الاسفل..

اندهش لان زوجته وابنته ستأتيان في نهاية الاسبوع.. هبط سريعا الى الطابق الاول ولكنة لم يعثر على شيء بحث في كافة ارجاء الفيلا ولكنة ايضا لم يجد شيء.. شعر وكأنه يحلم.. ربما تعب الليلة الماضية

دلف الى المطبخ ليتناول افطاره على مهل.. او كذلك خيل الية فقد كان ذهنه مشغولا هذا الوقت بأمور اخرى فقد سمع فجأة صوت الطفلة مرة اخرى من خلفة تماما هذه المرة ولا يفصل بينة وبين الصوت الا باب المطبخ الذي يطل على الحديقة.. فتحة سريعا وبحث في كافة انحاء الحديقة.. ولكنة لم يجد شيء ولكن لدهشته وجد ارجوحة معلقة من حبل واحد على شجرته الشبحية والحبل الآخر مقطوع وملقى نصفة على الارض.. وكأن

من هناك من قطع جزء منه بسكين.. أحس انه ليس وحيدا في هذا المكان وربما كان هناك طفل في مكان ما مجاور ولكنه هرب عندما شعر بي في الحديقة.. دخل الى الفيلا وعاد الى غرفته والى مكتبة ساطرا هذه الكلمات..

((الاحد ٥\١٢\١٩٦٥))

" احداث غريبة مرت بي صباح اليوم.. ولكني لن اكتبها والا رأتها ابتسام واتهمني بالهواجس مرة اخرى ولكن من الواضح انني.. لا.. على فكرة انا اكتب مذكراتي حاليا على لمبة جاز.. فاليوم بعد ان تناولت الغداء سرت على الشاطئ لمسافة طويلة وعند عودتي الى الفيلا قبل المغرب لم تكن الكهرباء قد وصلت بعد.. وهذا الذي لم يحذرني منه فريد.. اشعر الآن بقشعريرة فجأة!!!! ولا أدري ما السبب ولكن هذه ثالث مرة اشعر بهذا الشعور في هذا المكان.. ربى ما هذا الذي اراه .....؟؟؟؟ " شعر بأن هناك من ينظر من خلفة الى ما يكتبه.. التفت فجأة فقد كان موليا ظهرة لباب الغرفة.. وفجأة لمح من بابة المفتوح خيال يمر امام فتحة غرفته يأتي من الحمام الموجود في يسار

الممر.. ويعدو سريعا الى اقصى يمين الممر.. تناول المصباح ليخرج خلف الخيال.. بحث في كافة الغرف التي في الممر ولكنة لم يجد أي أثر لأي شيء.. لم يبحث في الغرفة التي امامه تذكرها الان.. تذكر انه كان في نيته ان يفتحها اليوم صباحا ولكن ربما لن يجرؤ الآن على فتحها..

ترك كتابة مذكراته.. واحكم اغلاق باب غرفته... كان شعور الاندهاش لديه أكثر من شعور الرعب استند برأسه الى وسادته ناظرا الى خيال يمر أسفل باب غرفته ولكنه ما لبث ان ذهب سريعا الى غيبوبته.

شعر ببرد فجأة.. افاق ليجد شباك غرفته المطلة على البحر مباشرة مفتوحا على مصراعيه نهض مفزوعا ليغلقه.. ولكنه عندما عاد الى سريره خيل اليه ان هناك خيالا يدور على شكل دائرة من الارض والى السقف وهكذا.. خيال طويل... نظر الى باب الغرفة وجدة مغلقا.. يزيد من اشعال مصباحه الزيتي ليرى الظل

ولكنة لا يجد سوى شبح خيالة على الجدار امامة.. يلاحظ ان خيالة لا يمسك بالمصباح.. بل يلاحظ ان الخيال أصغر منه حجما.. يتحرك في اتجاهات متعددة فلا يتحرك معه الخيال.. اقترب أكثر منه لا يدري هل يحلم هذه المرة ام ماذا؟؟ لدهشته وجد ان الخيال ليس على الحائط بل في منتصف الحجرة تماما.. يقترب الخيال منه.. يتجسد له شيئا فشيئا يتحول الى جسد امرأة.. يقترب أكثر منه يمد يده الى الخيال محاولا امساكه تختفي.. وتهرب سريعا من أسفل باب غرفته وكأنها دخان او كأن لم يكن لها أي وجود منذ دقائق.. يلملم نفسه في رعب ويتجه سريعا الى غرفة اخرى ليقضى ما تبقى ليلته وهو في اشد حالات الفزع..

((الاثنين ٦\ ١٢\ ١٩٦٥))

" يتملكني صداع قاتل.. ربما من كثرة النوم فلم انهض سوى من نصف ساعة.. انا بغرفة اخرى غير الغرفة المطلة على البحر والتي تعودت ان انام بها لأني.. يبدوا انى اعانى من الهواجس مرة اخرى.. ولكنها هذه المرة لم تكن هواجس.. مممم.. لذلك قمت بكتابة مذكراتي اول شيء هذا الصباح.. اشتاق الى ابتسام وامنية.. لا أدري ما سأفعله اليوم ربما سأتنزه قليلا على الشاطئ او اذهب الى صيد السمك.. لا اعلم وربما احزم اشيائي واعود الى القاهرة او ربما اكتشف اسباب ما يحدث لي في هذا المكان " كان يخجل مما حدث له ليلا.. خجل حتى من ان يشير اليها في مذكراته.. فربما كان يحلم.. لا يدري.. فربما كانوا لصوصا بالمنزل.. لا يدري.. شعور بالرعب والفضول هو ما كان يسيطر عليه ولذلك

قرر ان يكتشف اسباب ما حدث له ليلا.. فربما وضع حدا لتساؤلاته.. خرج من الغرفة والفيلا بأكملها ليبحث في ارجاء الحديقة اولا.. لا يوجد أثر لأي اقدام قد اتت من الخارج او حتى تركت الفيلا.. عاد مرة اخرى الى المطبخ.. الباب يغلق بإحكام من الداخل ولايمكن فتحه بأي صورة من الخارج وتماما كما تركة بالأمس.. بتلقائية شديدة فتح أحد الادراج الموجودة بالمطبخ وكأنه يعنيها.. ولدهشته التي جعلته يرجع مفزوعا الى الخلف فقد وجد سكينا به اثار دماء كثيرة عليها..

تمالك اعصابه مرة اخرى وتناول السكين.. كان كبيرا الحجم ملطخا حتى مقبضة بدماء جافة وبجواره في نفس الدرج كان مفتاحا اخر يشبه مفتاح غرفته تماما وعلى الفور تذكر الغرفة المقابلة فربما كان ذلك هو مفتاحها..

ترك السكين كما وجدها واخذ المفتاح.. وذهب مهرولا الى الغرفة وكان اقدامه هي التي تسوقه.. الفضول الشديد تملكه فجعلته

ينسي ما يشعر به من فزع.. مد يده ليدخل المفتاح في الباب وكان فزعة اشد عندما وجد ان الباب مفتوحا ولا يحتاج الان الى أي مفتاح.. فتح الباب بكل هدوء وهو يكاد يسمع دقات قلبه التي اصبحت ألف دقه في الدقيقة ولكن ما رآه كان اشد قسوة على اعصابه فقد رأى ان السرير الموجود بالغرفة كان ملطخا بأثار دماء وكذلك على الارض والجدران بل انه يراها الان بجوار الباب وعلى الممر نفسه فكيف لم يلاحظها من قبل...؟

اغلق الباب سريعا بالمفتاح وكانت هناك عشرات التساؤلات تدور في رأسه.. ولكنه كان كعادته لا يفزع من مشهد الدماء.. او حتى يخاف من الاشباح.. كان كل ما يتذكره الآن هو خوفه من حضور زوجته وابنته لهذا المكان.. كان من داخله يشعر ان الفيلا ربما تكون مسكونة بشي ما.. لا يدري ولكن هذا الشي لم يكن طيبا بالمرة...

دخل الى الغرفة المقابلة ليعود بقطعة ملابس قديمة ليمسح بها اثار الدماء الموجودة على ارضية الغرفة والممر.. مسحها سريعا حتى اختفت.. كان يشعر لسبب خفي داخلة بأن هناك من يراقبه.. وكان عيونا قد نبتت من الجدران تراقب ما يفعله في هدوء مرعب.. التفت حوله فجأة ولكنه لم يجد أي شيء.. اغلق الغرفة بالمفتاح ووضعه في جيبه.. تنامى الى مسامعه خطوات طفل يعدو بين الغرف بنفس الضحكة الخافتة التي يسمعها كل مرة والتي تأتي دائما من الحديقة.. أو خارجها....

خرج الى الشاطئ ليخرج هذه التساؤلات من رأسه.. كان يتساءل هل كانت الفيلا في وقت ما مسرحا لجريمة قتل وما هي تلك الجريمة...؟.. بل ومتى حدثت ...؟ بل ولماذا تجرى تلك الاحداث الان؟

في مسيرته تلك لم يشعر بالزمن.. شعر فقط بأن عليه العودة الى الفيلا.. فقد أتى الليل وهو على الشاطئ وما زالت هذه الأفكار

تدور داخل رأسه.. ذهب الى قدره الليلي وجدها تماما كما تركها.. مضاءة.. وقبل صعوده الى غرفته توجه الى المطبخ ليتناول ما يسد به رمقة لمح بجواره درج السكين مفتوح كما هو.. اغلقه وصعد الى غرفته.. دخل واغلقها بإحكام من الداخل.. تسمع اذناه ضجيج الامواج من بعيد مختلطا بصوت ما حاول ان يسترق السمع مرات ومرات الى ان تأكد ان هذا الصوت المصاحب لصوت الامواج هو عواء امرأة.. في مكان ما في الفيلا.. وكأن الصوت يأتي اليه من قريب.. وعندما ركز أكثر في الصوت شعر بأنه يأتي من الممر وبالتحديد من الغرفة المقابلة الى غرفته.. الغرفة المغلقة.. هرول اليها ومد يده الى مقبض الباب ليفتحه ولكنه وجد الباب مفتوحا على الرغم من غلقه بالمفتاح الذي كان لايزال في جيبه.. وعندما فتح الغرفة فزع عندما وجد الدماء التي مسحها كانت كما هي.. وكأنه لم يمسح أي شيء في الغرفة..

عندما هم ان يغلق الباب سمع نفس الخطوات التي يسمعها كل مرة ولكن هذه المرة كانت قريبة جدا وكأنه لشيء يخرج سريعا من الغرفة دون ان يراه.. فقط شعر بقشعريرة وكأن لوح من الثلج اخترقه ومر خلاله وقفت كل شعيرات جسده.. واضطرب قلبه لهذا الشعور الغريب.. كان يتذكر مقولة عندما يشعر المرء بهذا الاحساس فإن هناك روحا تهيم في هذا المكان.. وتكون بالقرب منه في هذه اللحظة.. اغلق الباب بالمفتاح مرة اخرى.. والتفت ليدخل في غرفته المقابلة ولكن وجد خيال المرأة هذه المرة امام باب غرفته تماما دون ان تتحرك او تهرب كعادتها كان الضوء ضعيفا في الممر.. كان بالكاد يلمحها واقفه امام باب الغرفة ولا تهرب.. هرب هو هذه المرة الى الغرفة التي نام بها ليلا.. تتبعه.. لا يسمع لتحركها صوتا.. كانت فقط تتبعه في هدوء غريب كأن ليس لها اقدام.. تمالك نفسه ليسترق نظرة من خلفه.. رآها فقط شيء هلامي اسود اللون لجسد امرأة دون ملامح وجه.. فقط

وجه ملامحه مطموسة.. تتبعه حتى دخل الى الغرفة.. لا يقترب منها.. بل حاول ان يتلاشى النظر اليها.. لم يستطع.. وجدها تدور حول نفسها.. كانت بيديها الطويلتين والتي تذكرة بشي ما ربما شخص ما.. تشيران ناحيته بحركات غير مفهومه.. تشير بإحدى يديها الى الغرفة المغلقة.. لا يسمع لها صوتا بل يسمع همسا بلغة لا يفهمها.. يرتعد من داخله أكثر وأكثر عندما تقترب منه.. وعندما حاول ان يهرب تسمرت قدماه أكثر في الأرض.. رفضت أن تنصاع لأوامر عقله.. فقط تيبست أكثر.. وظلت هي تشير اليه فقط.. وعندما سارت امامة كان لديها جسد طويل خيل اليه انها كانت تقطر دما.. يستعيذ بالله.. لا تهرب.. يحاول ان يقرأ ما يحفظه من القران.. ولكنه لا يحفظ كثيرا.. حاول ان يلملم شجاعته ليقترب منها.. تماما كما رآها امرأة دون ملامح.. يشعل ضوء الغرفة فكان فقط يراها في ضوء الممر الضعيف.. ولكنها عندما لمحت الضوء القوى صرخت في عواء يصم الاذان

ارتجف وارتعد أكثر.. خرجت سريعا من الغرفة.. ويفاجئ بأنها تدخل الغرفة المقابلة من أسفل الباب المغلق وكأنها دخان او سراب.. اغلق الباب سريعا ورائها ويقع على السرير ويذهب في غياهب النوم..

استيقظ بعد فترة من النعاس عاقدا عزمه على مغادرة المكان بأسرع ما يمكن قبل ان تصل اليه زوجته وابنته.. فربما يصلان في أقرب وقت ولو حدث لكانت كارثة.. وليكن له شان اخر مع فريد الذي زج به في هذا المكان الملعون.. وقبل ان يخرج من الغرفة تناول قلمه ليكتب بأيدي مرتعشة

((الثلاثاء ١٩٦٥\١٢\٧))

" قررت الرحيل من هذه الفيلا الملعونة الذي لم اذق طعم النوم فيها بمجرد ان وطئت قدماي فيها.. وملعون فريد ايضا.. لا أدري ما الذي سيجنيه من حبستنا في هذه الفيلا المسكونة.. دائما كنت اشك في نوايا فريد تجاهي فأحيانا اشعر انه يحسدني على ما انا فيه على الرغم من اننى لا شيء.. نعم سأرحل وليكن ما يكون.."

توقف عن الكتابة عندما لمح خيال المرأة بجواره وكأنها تحاول ان تقرا ما يكتب.. صرخ في وجهها هذه المرة عما تريد.. لم تصرخ هي بدورها ولكنها خرجت مبتعدة.. خرج ورائها ليجد الدماء تغطى الممر امام الغرفة فقد كانت تقطر دمائها في كل مكان.. عاد الى غرفته يحزم اشياءه يجمعها كلها في حقيبة واحدة واثناء ذلك لمح

في نافذته العلوية طفلة واقفة بجوار الارجوحة الموجودة بالحديقة.. هبط من غرفته مهرولا ليلحق بها ليسالها من هي او كيف اتت الى هذا المكان؟.. خرج من باب المطبخ فهو أقرب اليها من باب الفيلا الخارجي.. وصل سريعا الى الحديقة.. رآها من ظهرها كانت في عمر ابنته.. تضحك.. ذكرته بابنته.. ابتسم رغما عنه فهذا دليل على وجود أحد في البنايات القريبة ويبعث على الاطمئنان بوجود حتى سكان قد يستغيث بهم.. اقترب منها شيئا فشيئا ليسالها من اين اتت؟ واين تسكن؟ ولماذا تهرب كل مرة تشعر بوجوده؟.. كانت تضحك فقط يخطو خطوات ليصبح خلفها تماما يلمس كتفها لا تلتفت اليه.. بل تضحك يدور هو ليراها من وجهها.. كاد ان يغشى عليه من الرعب فكانت الطفلة مخنوقة بحبل غليظ ملتف حول رقبتها.. كان وجهها شديد الزرقة.. عيناها جاحظتان بشكل مرعب للخارج.. يكاد ان يقع على ظهره من فرط ما هو فيه من الرعب.. يحاول أن يتذكر هل رآها من

قبل ...؟ يرتعد.. يعود سريعا الى غرفته يلملم بقية اشياءه.. يتذكر اوراقه والتي كانت في غرفة اخرى.. يذهب ليأتي بها ولكنه يلاحظ ان هناك كلمة مكتوبة بمداد احمر اللون على ورقة بيضاء خطت عليها كلمة واحدة .....

(ساعدني)

يصرخ في ارجاء الفيلا من انت...؟ وكيف اساعدك...؟ يدور في ارجاء الفيلا كالمجنون وعندما يعود يجد مذكراته وقد سطر عليها..

(سامحني . . انتظرني مع دقات العاشرة . . ساعدني)

" اشعر بالرعب لا أدري هل ما اراه حقيقيا ام لا؟ اكان كل ذلك مجرد هلاوس.. ؟ كنت سأظنها هلاوس ولكنة ذلك المداد الاحمر في اوراقي والسكين الذي بالمطبخ.. والدم الموجود بالممر ازال عني كل المخاوف من التخيلات.. ولا أدري ايضا هل اترك هذا المكان الملعون ام انتظر لكي اعرف ما الذي سينتظرني في

العاشرة ...؟ اهو الفضول ...؟ ربما الفضول هو الذي سيجعلني انتظر لأرى ما سيحدث.. الكهرباء مقطوعة الان والوقت اعتقد انه عصرا ولا يوجد ما افعله حتى حلول الظلام سآكل ثم استلقى في هذه الغرفة حتى العاشرة.. سأنتظر.. وإذا كان الامر مجرد خدعة ما فالسكين موجود.. سأغلق جميع ابواب الفيلا وسأنتظر.. ولا املك الا الانتظار.. لا اعلم هل سأعود لأكمل مذكراتي مرة ثانية ام لا...؟ ها هي تتحول الى اوراق هامة دون ارادتي ربما إذا قرا أي شخص هذه الاوراق لظنني معتوها او مختلا.. فأنا لم أصرح بشي هنا ولن أصرح بأي شيء حتى اتأكد مما يدور حولي.. ربما من يقرأها سيقول مجرد مجنون ولكنها الحقيقة.. الحقيقة التي ستجعلني اغامر بحياتي من اجلها.. وداعا الان.. "

لم يفعل سوى ما كتب تناول طعامه سريعا ودار في ارجاء الفيلا ليتأكد من اغلاق جميع منافذها.. وعندما اتم مهمته عاد الى غرفته مرة اخرى وتمدد في سريره وذهب في سبات عميق..

افاق بعد فترة.. نظر الى المكان المظلم حوله.. تطلع الى ساعته وجدها العاشرة الا خمس عشرة دقيقة.. تناول مصباحه الزيتي وحاول ان يشعله ولكنه لم يجد بجواره أي اعواد ثقاب.. هبط سريعا الى المطبخ ليعود بالثقاب.. لا يدري ما ذكره بان يتناول السكين معه فربما كان هناك خدعة ما.. تناول السكين بعد ان غسلها من اثار الدماء الجافة وذهب الى غرفته والى المنضدة التي تتوسط الغرفة والتي فرد اوراقه عليها بعد ان أشعل مصباحه القديم.. وجد ان الكلمات تتراقص امامة.. فتح عينية لأخرها ليتأكد انه لا يخيل اليه.. ولكنة وجد المداد الاحمر يتراقص بحروف تشكل كلمات بسطور داخل اوراقه دون ان يشعر

بوجود أحد الى جواره.. فقط تلك القشعريرة وتلك الكلمات الى تتراقص امامه:

" لا تخاف من فضلك.. انا بجوارك ولكنك لن تراني.. فقط سأكتب لك بهذه الطريقة حتى يتم التواصل بيننا حتى أستطيع ان أفسر لك كل ما يدور حولك سأكتب لتقرا وتفهم وعليك ان تحاول ان تفهمني لأنك لن تسمعني الا بصوت صراخي ولن تراني الا كخيال لك فقط... سأكتب لأرد على كل تساؤلاتك.. من فضلك ساعدني ولكن سريعا.. انت فقط الشخص الذي بيده المساعدة.. لا تخف منى فانا امرأة مسكينة ساقتها الظروف لترتبط بزوجا مختلا.. ولكنه لم يكن هكذا بل أصبح كذلك عندما فقد وظيفته فكان مسئولا امنيا في احدى المعتقلات (بدا يتململ من قراءة هذه الملاحظة) وتم فصلة لاستعماله القسوة الشديدة مع السجناء.. بل وصل الامر الى قتل رجل منهم بطريقه بشعة.. وعندما انتشر الخبر وتم طرده من العمل اصابته لوثة.. فأصبح

يرتاب في الجميع بما فيهم انا.. بل واولهم انا.. يظن دائما انى اخونة بل وصل به الارتياب في التشكك بنسب ابنتنا.. هو يصل يوميا بعد منتصف الليل بقليل وأحيانا يغيب عن المنزل يومين او أكثر ولا أدري ولا أدري اين يكون ... انه أقسى مما تتخيل.. لا تظن انى مجرد اوهام وهلاوس تدور في خيالك.. سأعطيك دليلا ملموسا.. ابحث في الحديقة.. ابدا الحفر في مكان ما سنرشدك اليه ستتأكد وقتها من صدق كلامي اليك.. ستتأكد انى ليس بوهم.. من فضلك بدونك سأظل حائرة.. انت وانت فقط الذي بيده المساعدة.. لأنك انت فقط الشخص الذي اعرفه من العالم الآخر.. نعم فهذا ما لا تعلمه وستعلمه الايام القادمة.. لابد ان اذهب الان خوفا من قدومه سيأتي اليك هنا غدا في العاشرة.. انتظرني من فضلك لا تذهب.. من فضلك "

تتوقف الكلمات عن الظهور امامه.. يشعر وكأن هناك ظلاما ابتعد من الغرفة.. اقشعر جسده عندما تذكر كلمة المعتقلات كم

يكره اصحابها وروادها ومسئوليها فهل تكون هذه فرصة اتت الية للانتقام من صورة أحدهم ومساعدة للمرأة المسكينة في نفس الوقت...؟ ولكنة لا يدري كيف يساعدها ...؟

((الاربعاء ١٨\١٢\١٩٦٥))

"ما حدث لي بالأمس لا أدري كيف اصفه.. او حتى اسرده لا أستطيع ان اكتب ما شعرت وما رأيته ليلا.. ولكنى عزمت على مساعدة تلك المرأة المسكينة بأي شكل وبأي طريقة كانت.. ولكن هناك كلمة واحدة لم ارتاح لها.. ما معنى كلمة انى من العالم الاخر...؟ من منا من العالم الاخر...؟ انا اشعر بنفسي.. اشعر بالأشياء من حولي اشعر بالجوع والتعب والفزع والرعب والفضول وجميع المشاعر الانسانية.. وانا لا اذكر انى تعرضت الى حادث نقلني الى الاخرة.. كلها حوادث بسيطة بالطبع.. ولا اتذكر انى انتقلت الى العالم الاخر بل ربما لم اخض تجربة الاقتراب من الموت الا مرة واحدة.. ايام الاعتقال...لا لا.. فلن اتحدث عن تلك الايام مرة اخرى..

وما موضوع البحث والحفر في الحديقة...؟ وما تلك الحقيقة التي سأعرفها ...؟ والمرأة.. هل ستأتي اليوم...؟ "

تتوقف كلماته عند هذه السطور.. هبط سريعا الى أسفل تأكد ان جميع النوافذ ما زالت مغلقة كما اغلقها ليلا.. خرج الى الحديقة ولدهشته وجد الطفلة الصغيرة لا تهرب منه هذه المرة.. كانت واقفة بجوار حبل الارجوحة المقطوع.. تحاشي النظر الى وجهها الذي كان شديد الزرقة ولرعبة لم يجرؤ على الاستمرار في النظر اليها.. كانت الطفلة تشير الى بقعة ما في ارض الحديقة.. بجوار الشجرة العجوز.. لا يفهم ماذا تقصد هل تقصد البحث هنا...؟ ذهب سريعا ليبحث في ارجاء الحديقة عن أي شيء يحفر به وجد فاس غريب الشكل.. اخذه وذهب الى ما كانت تشير الية الفتاة التي اختفت فجأة تماما كما ظهرت.. كان المكان يعلو عن الارض قرابة العشرون سنتيمتر.. بدأ بالحفر متشككا في اول الامر...ولم يستغرق سوى أربع ضربات ساعتها تأكد انه لا يحلم

او يهلوس.. لم تقو ركبتاه على حمله هذه المرة وخانته شجاعته.. فجلس حلى الارض بجوار جثة الرجل التي ظهرت جمجمته مهشمة في هذا المكان.. كنتيجة لأصابه حطمت نصف راسة وجعل ما تبقى منها عظام ف منتهى البشاعة.. كانت لم تتحلل بعد ومن مظهرها يدل على انها لازالت من فترة قريبة جدا لا تتعدى بضع ايام.. لم يلمس الجثة تلفت حوله خوفا من ان يكون أحد ما يراقبه.. وعندما لم يجد احدا ردم على بقية الجثة وشعر بعد حدوث هذه الاحداث لابد له من ترتيبات اخري..

هرول الى الفيلا.. كان يتساءل هل يترك الفيلا ليعود الى حياته الهادئة...؟ هل يقوم بإبلاغ الشرطة...؟ هل يحاول ان يفهم من المرأة سر ما يحدث...؟

كان الوقت يمر سريعا امامة.. وكعادته جلس امام مكتبه.. فاردا الاوراق امامه مشعلا مصباحه الزيتي وانتظر.. وانتظر طويلا

ومر وقت طويل حتى اتت العاشرة.. شعر وقتها بنفس القشعريرة وعندئذ تراقصت الكلمات امامة:

" رايتك اليوم وانت تحفر.. واعلم ان بك عشرات التساؤلات.. ولكن لتعلم ان خلاصي بيديك.. لم اختارك هباء.. وانت نفسك لم تأتي الى هنا صدفة.. كل مقدر.. كل منا مقدر للقاء.. الجثة الى رأيتها اليوم كانت لأعز اصدقائه.. استدرجه هنا منذ عدة ايام وقتله بمسدسه الخاص.. وعندما سقط في الحديقة.. قام على الفور بالحفر حتى يخفى الجثة..

((زادت دقات قلبه عندما تأكد ان ما رآه في اول يوم لوصوله كان حقيقيا عندما وجد شخص يحفر في ارض الحديقة كان يراه ظهره وحمد الله انه الآخر لم يراه وهو ينظر اليه))

كان يشك في صديقة باستمرار كان يشعر بان هناك علاقة مشبوهة بيني وبين هذا الصديق كان يشك انى اخونة معه.. كان يشك ان ابنتنا ليست من صلبة هو.. و ذلك فقط لأنه كان

يرعى شئوننا اثناء محاكمته.. انا اعلم انه ربما كان مقدر لي ان يقتلني واعلم انه ربما سينجح.. وكيف لا اعلم...؟ وسيقتل وحيدتنا ايضا.. جئت انت من العالم الاخر.. فهل تستطيع انقاذنا...؟ سيخافك لأنك وهم.. بالله عليك مجرد محاولة مجرد ظهورك اليه وهم.. بدونك سنموت لا مفر.. فقط حاول لمرة واحدة ربما بيدك تستطيع ان تغير القدر "

((الخميس ١٩\١٢\١٩٦٥))

" نعم سأغير القدر.. نعم سأفعل اشياء لم افعلها في حياتي.. نعم سأخوض تجربة الموت او ربما تجربة العودة من الموت سأ... " تتوقف كلماته عندما تصل لمسامعه صوت الطفلة الصغيرة تصرخ في الحديقة ... تذكر فجأة أن اليوم الخميس وهو موعد وصول زوجته وابنته لهذا المكان الملعون.. ولو اتوا لكانت كارثة في وجود ذلك القاتل المختل.. بالإضافة الى الجثة التي لازالت في ارض الحديقة.. هبط سريعا الى الطابق الاول حيث الهاتف ...حمد الله كثيرا عندما وجدة قادرا على الاتصال.. اتصل بمنزله مرات ومرات لا أحد يجيب.. الوقت الان ظهرا.. يمر الوقت سريعا امامة في هذا المكان.. ماذا يفعل...؟ تذكر فريد كان هاتفة الآخر لا يجيب.. اين ذهب هو الآخر...؟ هل يتصل بأحد اصدقائه لا

يحفظ أي ارقام هواتف لأصدقائه سوى فريد.. فجأة لم يجد امامه سوى طبيبه المعالج فهو رقم يحفظه على ظهر قلب.. وعندما اجابة على الهاتف قص علية كل شيء .. وترجاه ان يتصل بزوجته طالبا منها عدم المجيء اليوم وانه هو الذي سيأتي إليهم باكرا.. قال لطبيبة كلاما كثيرا وكثيرا لا يتذكره.. فقط قد أكد علية انه وان لم يصل غدا الى القاهرة لأي سبب من الاسباب فعلى الطبيب ان يأتي بنفسه هو والشرطة مع فريد الى هذا المكان..

يلمح خيال المرأة تهرب من جواره مذعورة ربما كانت تسير والدماء تقطر من جسدها.. يصرخ اليها:

- انتظريني.. لا تخافي.. سأدافع عنك.. ولو اضطررت حتى للتخلص منه

لا يعلم كيف واين واتته الشجاعة لذلك...؟ ربما لحب الانتقام.. فقط عندما علم ان زوجها كان مسئولا عن أحد المعتقلات.. شعر بها وهي تدور في ارجاء الفيلا وتلف حوله وتسير مبتعدة..

اطمان بعد محادثته التليفونية مع طبيبه.. اما إذا حدث له مكروه فسيقرؤون المذكرات.. وربما يفهمون كل شيء والاهم انه تأكد انه لا يزال حي يرزق..

" سأغير وجهة القدر.. ربما تكون هذه اخر كلماتي في تلك الأوراق التي تحولت الى اوراق هامة في حياتي.. اطلعوا عليها وستعملون ما قاسيته في ايامى الأخيرة.. وان كنت اشك في انكم ستفهمون.. فات الاوان لكي اشرح لكم.. لم أكن عاقلا الى تلك الدرجة.. اما إذا مت فتحيتي الى زوجتي وابنتي العزيزة ووداعا الأن.. ربما سأكمل ليلا ما اكتبه وسأحكى وقتها كل القصة بالتفصيل"

طوى اوراقه ووضعها في جيب سترته العلوي الداخلي .. جلس في انتظار اقداره.. ولا يعرف ما هو مقدر له.. انتظر طويلا.. كان يقاوم السبات عندما سمع خطوات تجرى من الغرفة الى الممر فتح باب غرفته سريعا.. كان الممر مضاءً.. لمح المرأة تجرى

وهي تصرخ الى الطابق الأول.. وتتبعها البنت صارخة.. ولكن لدهشته كانتا الاثنتان تتحولان شيئا فشيئا الى الصورة الحسية.. بل يكاد ان يختفي اللون الازرق من وجه الطفلة.. والمرأة كاد ان يلمس ظهرها بيده سعد بهذا التحول.. وكأنه قد ينجح في انقاذهم.. سمع اصوات جلبة عند مدخل الفيلا.. جرى هو الاخر مذعورا ليستطلع الامر.. يتفاجئ بوجود شخص طويل القامة يحاول ان يفتح الباب الخارجي.. تماما كما رآه من قبل.. يسمع عويل المرأة رعبا في الأعلى.. يجرى الى المطبخ ليأتي بأي شيء قد يستعمله في الدفاع عن نفسه.. يشعر بخيال الرجل يذهب الى المرأة في الطابق العلوي.. وهو لا يزال يراقبه من المطبخ.. تردد في اخذ السكين الذي وجدة لامعا هذه المرة.. يسمع في الأعلى صرخات الطفلة مختلط بعواء المرأة.. يكاد ان يشعر بانة لا فائدة له.. يسمع عدوهم من غرفة الى الاخرى والرجل في أثرهم والمرأة تصرخ بعويل يصم الآذان... تكاد اذناه تنفجر من فزاعة

النحيب.. استجمع شجاعته ليصعد إليهم.. ينظر الى اثار الاقدام في الممر لا يوجد أي آثار دماء وحتى في الغرفة المغلقة حين فتحها وهو يبحث عن الجميع.. هاهو الزمن يتلاشى ما سيحدث مستقبلا.. وكأن يده هي التي تصنع الاحداث.. يخرج من غرفة الى اخرى.. يبحث حتى في غرفته ليفاجئ بوجود مسدس ملقى على ارضية الغرفة.. وكأنه قد وقع من الرجل اثناء عدوة خلف امرأته.. يأخذ المسدس في يده.. يهرول مرة اخرى الى أسفل ويبحث في الحديقة عنهم.. لا أحد.. يسمع كلمة ساعدني تأتي من الطابق العلوي هذه المرة.. وعندما هرول اليها مرة اخرى سمع صراخها وهو على السلم.. حاول ان يلملم اشلاء شجاعته.. يعدو في الممر الى الغرفة المغلقة مرة اخرى ويفتحها ويدخل سريعا.. يتفاجئ بوجود المرأة المسكينة على السرير وقد نفذت السكين التي تركها من يده الى صدر المرأة في عدة طعنات قاتلة..

وبجوارها الطفلة وقد رقدت على ارضية الغرفة محاط عنقها بحبل

غليظ من بقية حبال الارجوحة.. تماما كما كان قد حدث.. يكاد ان يسقط باكيا بجوارها عندما أدرك عجزه عن انقاذهم.. فهو ظهر كمجرد شخص اجوف لا وعد لديه ولا شجاعة.. وفى ذروة انفعاله لمح خيال الرجل بجوار النافذة ينظر الى الحديقة وكأنه يبحث عن الجثة الثالثة.. واخيرا ها هو وجها لوجه مع القاتل.. توقف عن البكاء وحاول ان يخرج ويهرب من الباب المغلق بجواره.. لكنة لم يفتح هذه المرة كان مغلق بالمفتاح من الداخل ولا يدري متى غلق...؟ كان الضوء شبة مظلم في غرفة الاعدام هذه.. ولفت انتباه القاتل محاولة فتحه للباب.. فالتفت اليه فجأة.. اما هو فقد شعر بالرعب من الباب المغلق وفجأة تذكر ان لايزال بحوزته المسدس امتدت يده لتخرجه من جيبه ووجد المفتاح ايضا ولكنة اخرج المسدس.. والتفت الى القاتل ليفرغ طلقاته في وجهه الذي كان في هذه اللحظة يسير ليأتي اليه في دائرة ضوء المصباح الضعيف في الغرفة.. بينما هو لايزال ممسكا بالمسدس بأيدي

مرتعشة.. ينظر الى القاتل وهو في اقسي حالات الرعب والهلع.. فقد كان القاتل صورة طبق الاصل منه.. يرفع المسدس في وجه القاتل الذي يبدأ في الضحك.. اما هو فقد غاب فجأة عن الوعي أثر دوى فرقعة شديدة.....

إن عقولنا اشبه بالمحيطات.. نستطيع احيانا ان نبحر فيها.. ولكننا لا نستطيع ابدا ان نسبر اغواراها.. ولنكتشف فقط ما هو مقدر لنا ان نكتشفه.. فهي اشبه بجبال الجليد والتي يظهر لنا فقط ربعها.. اما الثلاث ارباع الاخرى فدائما تحت سطح الماء...

قالها رجل في اواخر الستين من عمرة وهو ينهض كاتبا توقيعه امام اسمه في عدة اوراق امام شاب جالس خلف مكتب فضي اللون.. في احدى الهيئات القضائية بالإسكندرية.. داخل غرفة بها أربع افراد أحدهما محقق في الثلاثين من عمره ويجلس امامة محقق اخر زميل له وبجوارهم كاتب في الخمسينات من العمر.. حيا العجوز الجلين وانصرف خارج الغرفة.. يشير الشاب الجالس

خلف المكتب الى الكهل بجواره قائلا ليكتب في عدة اوراق ليكتب فيها:

" وبناء على ما تقدم وعلى ضوء التقرير المقدم من الطبيب النفسي (أمجد زكى حليم) والذي افاد فيه بأن المدعو (محمد ابراهيم توفيق خليل) كان يعاني من مرض نفسي يطلق عليه شيزوفرانيا حادة او مرض الانقسام في الشخصية وكان يقوم بعلاجه منذ ثلاث سنوات وذلك بعد تعرضه لازمة نفسية حادة على إثر فصله من الخدمة بالشرطة إثر قضية ضده وعليه قام الطبيب بعلاجه وملازمته في احدى المستشفيات النفسية الخاصة لمدة اكثر من عشرين شهرا (ملحوظة مرفق تقرير من المستشفى بالمدة التي اقام بها المتهم و بحالته المرضية)

وبعد تحسن الجاني الطبي افاد الطبيب بأنه في الشهور الأخيرة بدأ يعانى مرة اخرى من ان احدى الحالات الحرجة و التي

نتجت من مرضة النفسي السابق وهى حالة تسمى الوسواس الارتيابي او ما يعرف بجنون الارتياب..

واحدى هذه الحالات انه كان يرتاب في وجود علاقة شخصية غير شرعية بين صديقة الشخصي(فريد عبد الله خميس) وبين زوجته(ابتسام فرج محمود العلى) وكما افاد الطبيب في شهادته انه قد ارتاب في سلوك الجاني على اثر مكالمة هاتفية تمت بينهم الح علية في ضرورة الاتصال بزوجته لتلحق به لأمر هام جدا في الاسكندرية يوم الخميس ليلا و لذلك قام الطبيب بمحادثة الزوجة واخبارها بالأمر ..وبعد ان حاول الطبيب الاتصال بالجاني الخميس ليلا و طوال نهار الجمعة ..ارتاب الطبيب في حدوث أي مكروه فتوجه الى الفيلا صباح السبت حيث قام بإبلاغ الشرطة على الفور..

و علية قام اثر احدى نوبات المرضية قام الجاني (محمد ابراهيم توفيق) باستدراج المجنى عليه الاول (فريد عبدالله خميس) الى

الفيلا الخاصة بالجاني بإحدى ضواحي الاسكندرية وصرعه على الفور بثلاث طلقات باستخدامه مسدس ماركة جلوك ٩ مل في رأسه مما ادى الى تهشم جمجمته ومصرعه على الفور وقام المتهم بدفنه في حديقة الفيلا ثم الاتصال بزوجته عن طريق الطبيب واستدراجها حيث قام بقتل المجنى عليه الثانية(ابتسام فرج محمود العلى) طعنا بالسكين المحرز بأربع طعنات قاتلة (ثلاثة في منطقة الصدر وواحدة في الرقبة) مما ادى الى مصرعها على الفور .وقيام المتهم بخنق المجنى عليه الثالثة الطفلة (امنية محمد ابراهيم توفيق) وذلك باستخدامه حبل من الحبال المستخدمة في ربط حمولة سيارات النقل الثقيل مما ادى الى مصرعها على الفور وبعد ذلك قام بإطلاق الرصاص على رأس بطلقة باستخدامه نفس المسدس المستخدم في الجريمة الاولى اخترقت الجانب الايمن من راسة لتخرج من الجانب الايسر مما ادى الى مصرعه على الفور و مرفق تقرير الطبيب الشرعي بالتفصيل بعد تشريح الاربع

جثث وبتفتيش مسرح الجريمة تم العثور على المسدس والسكين والحبل المستخدمين في الجرائم السابقة ووجد اثار بصماته واضحة عليهم وكذلك تفتيش حقيبته الخاصة وبها جميع ملابسه وادواته .. وعليه.. وبناء على ما تقدم... "

يقاطعه المحقق الذي امامه قائلا:

- غريبة القصة والاغرب النهاية المأسوية للأسرة كلها
- لقد سمعت ما قاله الطبيب منذ لحظات ان عقولنا لا نستطيع ان نعرف ما بها فربما ما يحدث لها فجأة ولا نستطيع ان نتحكم به
- ولكن الاغرب لم تسمعه بعد فقد سمعته من ابى وعن هذه الفيلا الملعونة على وجه الخصوص فقد كان ابى يعمل في سلك الشرطة كما تعلم وعند قراءته لهذه الجريمة في الجرائد.. أدهشني لما رواة لي فقد قال انه بعد تخرجه مباشرة ومنذ أكثر من اربعين عاما وقعت جريمة قتل مشابهه تماما في نفس هذه الفيلا.. وتقريبا

بنفس سير الاحداث نفس الاستدراج الذي حدث لصديق الزوج وايضا اتصاله بزوجته لتلحق به وايضا قتله لزوجته وابنته وانتحاره بنفس الطريقة ولكن بطلقة في قلبه تماما.. وظلت هذه الفيلا مغلقة لأكثر من اربعين عاما خوفا من الاشاعات التي كانت تثار حول الفيلا فأحد الجيران كان يقسم بانة يسمع اصوات عواء أدمي كل اسبوع في يوم معين.. والاخر يسمع نحيب طفل واخر يسمع طلقات رصاص.. حتى استأجرها الجاني في الصيف الماضي.

- غريبة هذه القصة

- ولكنها تختلف عن قصتنا في الجزئية القادمة.. فعند تفتيش ملابس الجاني في الجريمة القديمة وجد في جيب سترته العلوي الداخلي عدة اوراق بخط نسائي بمداد احمر اللون لامرأة تستنجد من ان زوجها سيقتلها ويقتل ابنته ولا ندرى من اين اتت هذه الاوراق وخصوصا انه في مكان ثقب السترة تماما وامام ثقب

القلب الذي استحدثه المسدس بمعنى انه لو كان الجاني دسها قبل انتحاره بإطلاق الرصاص على قلبه تماما لانثقبت الاوراق ايضا.. ولكنها وضعت بعد انتحاره والا كانت قد ثقبت بدورها.. وقتها كتب في محضر الشرطة انه ربما كان للقاتل شريك او شريكة.. ووضع الاوراق بعد الجريمة.. ولم تهتم الشرطة وقتها بهذه الجزئية.. وخاصة عندما وجدوا ان الباب مغلق بالمفتاح من الداخل.. ولكن في حالتنا تلك كان باب الغرفة مفتوحا على مصراعيه..

صمت المحقق الاول ولم يجب سوي انه هز كتفية والتفت الى الكاتب بجواره قائلا:

- وبناء على ما تقدم وبانتحار الجاني (محمد توفيق ابراهيم خليل) تم اغلاق ملف القضية بمعرفتنا نحن احمد هارون وكيل نيابة شرق الاسكندرية وكذلك تم التصريح بتسليم الجثث الى

ذويهم واستخراج شهادات الوفاة الخاصة بهم

وكيل النائب العام

احمد هارون سليمان

الاحد الموافق ٢٠١٣/١٢/١٢ "

تمت

ضجة الجنون

(ليس كل قاتل مذنب .....
وليست كل ضحية بريئة.....)
مهداة إلى جاري العزيز

لا أدري لماذا أنا في هذا الموقف ...؟

وفي هذه السيارة...؟

وفي هذا الوقت...؟

استرجع عقلي ما قمت به منذ عدة أيام أحسست خلالها أن الأمر قد مر بسلام.. فقد راجعت خطتي مرات ومرات، لم أترك أي مجال للخطأ أو الصدفة.. لم اترك أي دليل يمكن ان يقود إليّ.. كنت على يقين أني قد حققت الجريمة الكاملة..

قتل جاري العزيز...

تلك الجريمة باختصار.. ذلك الذي يقطن في الشقة التي تقع أسفل شقتي مباشرة..

لم يكن جارًا عاديًا.. وبفضله اصبحت أنا أيضًا شخصًا غير عادي، فذلك الرجل قادني للجنون.. ودفعني للتفكير في التخلص منه بأية وسيلة ممكنة..

فهو في أوائل العقد الخامس من العمر.. يسكن بمفرده.. كان بإجماع آراء الجيران شخص مختل.. الوحيد الذي لم يرى هذا الاختلال هو أنا.. رغم أن آثار هذا الاختلال كانت تصيبني وحدي..

فقد كان دائم التربص لي عند عودتي من عملي.. يشكو اوهامًا ليس لها أساس إلا في خياله المريض..

احيانًا يشكو من مياه تتسرب من شقتي إلى سقف شقته..

واحيانًا من صراخ وصياح يسمعه دائمًا.. واحيانًا يشكو من أن أحدهم يدق على بابه ليلًا ويظن أني أنا الطارق...

كان دائم الشكوى..

لم يكن ينام أبدًا..

دائمًا ما كنت أسمع صوت ينبعث من داخل شقته كصوت تحطيم الجدران ليلًا ونهارًا.. وكأن بيده مطرقة يدور ليحطم بها

الجدران.. ذلك الصوت الذي دفعني للجنون فلم أعد أستطيع النوم في أي وقت..

فقد كنت أبحث عن ساعات معدودة لأريح جسدي بعد عودتي من عملي المنهك، إلا أنه سرعان ما كان يبدأ بالطرق مرات ومرات.. وعندما أشكو له كانت حجته دائمًا أنه ليس له علاقة بذلك الصوت وانما هو طفل محبوس في احدى الشقق المجاورة.. كنت معروفًا بين أقراني بالاتزان ورجاحة العقل والهدوء، ولكن بفضله أصبحت على وشك الجنون المطبق لا محالة.. أما هو فقد كان مصرًا على الطرق لسبب ما في عقله المختل.. لا أدري إن كان يطرق بيده أو بآلة أو حتى برأسه في الحائط.. المهم أنه كان يطرق فقط..

لم أكف عن الصراخ طالبًا للنوم.. وهو لم يكف عن التحطيم.. وكم وددت أن أهبط لأحطم باب شقته وأحطم هذه الرأس المختلة..

المهم أني قد عزمت أخيرًا على التخلص من هذا الجار وصممت على قتله.. وظللت لأسابيع أخطط لتنفيذ الجريمة حتى توصلت أخيرًا لخطة مناسبة..

لم يكن يأتي إلى شقته دائمًا فقد كان يأتي مرة أو مرتين اسبوعيًا ويظل بها قرابة أربع أو خمس أيام واحيانًا يغيب أكثر من اسبوعين، لأنعم أنا بالنوم والراحة في هذه الأثناء..

لكنه في زيارته الأخيرة استمر قرابة عشرة أيام لم يتوقف خلاله عن الطرق المستمر مما دفعني للانهيار.. فقد كنت أموت في كل لحظة.. اشعر وكأن هذا الطرق يتردد داخل أعماقي وكأنه يطرق جدران روحي فيصيبها بالتصدع.. لم أذق في هذه الأيام طعم النوم إلا في العمل أو المواصلات..

لم أعد أحتمل المزيد..

لذلك قررت تنفيذ ما أقسمت عليه..

وشرعت في التنفيذ..

ابتعت حبلًا غليظًا طوله حوالي عشرة أمتار وتيقنت من وجوده في المنزل.. وفي تمام الساعة الثالثة فجرًا شرعت في اتمام ما خططت له..

لم يكن يوجد جيران خلف منزلنا مما سهل كثيرًا من مهمتي، فقد كان علىّ أن أربط طرف الحبل في شرفتي جيدًا بعد عقده ثلاث عقد كبيرة حتى يسهل علىّ الهبوط إلى شرفته..

امسكت طرف الحبل لأهبط، كان الأمر شاق فلم يكن لدي أي دراية بهذه الحركات.. حتى وصلت أخيرًا إلى شرفته بعد جهد مضني.. كانت تلك الخطوة هي أسهل ما في الخطة..

ودون أن أحدث أي صوت فتحت باب الشرفة الذي كان مواربًا في هذه اللحظة ومشيت ملتصقًا بالجدار على أطراف اصابعي بخفة لا أعلم من أين أتتني.. كان الظلام يحيط بالشقة ولكني ارتعدت من مجرد فكرة أنه لا يزال مستيقظًا.. ولكني بمجرد

اقترابي من غرفته وبالرغم من صوت التليفزيون في الغرفة تمكنت من سماع غطيطه المزعج..

ولكي أستمر في خطتي سرت على يدي وقدمي حتى وصلت إلى الغرفة المفتوح بابها.. وعلى ضوء التليفزيون أبصرته راقدًا فاغرًا فاه وبجوار السرير وجدت عصًا حديدية وفي نهاية كل طرف منها دلوين كل دلو ممتلئ تمامًا بالإسمنت وهذا يفسر سر الطرق المستمر..

نظرت إليه بغيظ كيف ينام بذلك العمق بعد أن حرمني من النوم، كيف يرقد مستريحًا بعد أن سلبني الراحة والسكينة..

أزال منظره هذا وذلك الشعور الذي اجتاحني أي ذرة تردد في نفسي

وبهدوء شديد تناولت وسادة بجواره وبكل ما أملك من قوة وضعتها على أنفه وفمه.. كان يقاوم ويصارع بكل قوة طالبًا للحياة.. انا أيضًا ضغطت بكل قوتي وكل ما ذقته من ألم خلال الأشهر

الماضية.. في أول الأمر حاول أن يزيح الوسادة ولكن المفاجأة نفسها كانت قد شلته تمامًا

كان هذا الأمر بالنسبة لي حياة أو موت أنا الآخر.. فقد كانت حياته مقابل حياتي فقد كنت اشعر أني اوقف ذلك الطرق الذي يتردد صداه في أعماقي.. أني استعيد ذلك الهدوء في حياتي التي أفسدها.. أنى أتنفس أخيرًا..

كنت اشعر أني أدافع عن نفسي فلو نجح في الإفلات لوقعت أنا في مشاكل لا حصر لها.. كان يتلوى في فراشه وأنا مستمر في الضغط ولما عجز عن إزاحة الوسادة حاول أن يصل إلى وجهي أو يدي.. كنت اتمايل يمينًا ويسارًا حتى لا تصل يداه إلىّ ولكنه قبض على ذراعي بقوة ونشب مخالبه فيها..

كان الألم غير محتمل ولكني بالطبع كنت اؤلمه أكثر.. ذلك اللعين ألم يكتفي بما سببه لي من عذاب في حياته حتى يعذبني أيضًا في مماته.. جعلني ذلك اضغط أكثر وأكثر وأكثر حتى خمدت انفاسه

أخيرًا.. ولكني أضغط بنفس القوة بعدها لمدة دقيقتين حتى لا يكون متظاهرًا بالموت.. رفعت بعدها الوسادة، كان وجهه شديد الزرقة فاغرًا فاه كما رأيته.. ولكن كان بصورة أكبر قليلًا، وعيناه كانت جاحظة تجاهي بصورة مرعبة..

خرجت من غرفته سريعًا إلى الصالة لأنفذ الجزء الثاني من الخطة، ولكني وقبل ان أشرع بها نزعت بقايا جلدي من بين أظافره بواسطة عود ثقاب.. كنت مشمئزًا مما أفعله لكني عزمت على ألا اترك أي أثر ولو بسيط يمكن أن يدل علي، ولذلك استخدمت قفازًا جلديًا منذ البداية..

وعندما فرغت من مهمتي المقززة انتقلت لتنفيذ الجزء الثاني من الخطة.. كانت الخطوة الثانية تستدعي الكثير من الجهد والتعب ولكن كل ذلك يهون مقابل ما سأحصل عليه من راحة فيما بعد.. كنت أتذكر عند زيارتي الأخيرة له أني رأيت في سقف الصالة حلقة حديدية تستخدم في تعليق النجف.. وكنت أدعو الله أن

تحتمل ثقل هذا الجار العزيز..

أخذت طرف الحبل الذي نهايته مثبتة في شرفتي وربطت الطرف الساقط في السور الحديدي الخاص بشرفة جاري العزيز جيدًا.. وأخذت الطرف معي إلى الصالة فكان المشهد كالتالي حبل ساقط من شرفتي مقيد بسوري الحديدي ومشدود إلى شرفة جاري.. ثم طرف حر في يدي ذهبت به إلى الصالة ومررت طرف الحبل في الحلقة الحديدية المعلقة في سقف الصالة ثم ربطت الحبل على شكل مشنقة بطول حوالي ثلاثين سنتيمتر.. ثم بحثت عن سكين بالمطبخ وقطعت بقية الحبل.. فكان الحبل مارًا إلى المشنقة ونهايته مثبتة بسوره الحديدي.. وبجهد شاق حملت جاري حتى وصلت برأسه إلى المشنقة التي اعددتها وأغلقتها جيدًا على رقبته ثم جعلته يتهاوى معتمدًا بثقله على الحبل المعلق بالحلقة مما يوحي للجميع أنه من ربط الحبل وأعد المشنقة ثم انتحر..

وبالطبع كان على ان اقوم ببعض الإيحاءات لذلك أحضرت كرسي الصالون وقلبته بجواره وكأنه صعد على الكرسي إلى المشنقة ثم قفز، وقمت بإغلاق باب الشقة من الداخل بمفتاح كان على المنضدة بجوار الباب ثم أغلقته أيضًا بالمزلاج من الداخل وبهذا سيفكر الجميع أنه لم يكن في الشقة غيره..

نظرت للمشهد العام مرة تلو الأخرى حتى تيقنت تمامًا من أنني لم أترك أي خطأ.. ولكني لم أتعمد النظر إلى وجهه حتى لا يطاردني في كوابيسي..

وهكذا انتقلت إلى الخطوة الثالثة..

ذهبت إلى الشرفة بعد أن اغلقتها كما كانت تمامًا وبكل صعوبة وقفت على حافة السور ممسكًا الطرف المشدود بين شرفتينا فقد كان علىّ الصعود رويدًا رويدًا إلى شرفتي باذلاً أقصى جهد ممكن حتى لا أتهاوي إلى الأرض فالحق بجاري العزيز..

كنت أتصبب عرقًا مع كل سنتيمتر أصعد فيه حتى وصلت اخيرًا إلى شقتي فتوقفت للحظات لألتقط انفاسي وأسترجع كل التفاصيل حتى تأكدت أني لم أترك أي شيء للخطأ أو حتى للنسيان، ثم ذهبت للمطبخ واحرقت قفازي واتيت بعصا خشبية طولها حوالي مترين في آخرها نصل سكين ربطته جيدًا وذهبت إلى الشرفة.. وبكل جهد متبقي قطعت الحبل المتصل بين شرفتينا من عن شرفة جاري حتى لا يكون هناك أي ظن أن ثمة قاتل دخل من الشرفة.. وبالطبع بعد أن انتهيت خلعت النصل وكسرت العصا الخشبية والقيت ببقيتها من الشرفة وفككت الحبل ذو الثلاث عقد من شرفتي..

وبهذا أكون قد اتممت الجريمة الكاملة..

كان الوقت قد تجاوز الرابعة والنصف.. فذهبت إلى السرير لأنام هادئًا لأول مرة منذ فترة طويلة وغبت في سبات عميق..

أما ما حدث بعد ذلك..

تم اكتشاف رائحة نفاذة من شقة جاري العزيز فاتصلت بالشرطة التي أتت وكشفت عن انتحار الجار المسكين وهكذا حمدت الله كثيرًا على ستره..

ولكن الغريب هو ما حدث بعد ذلك..

فقد أتت الشرطة لتستجوبني كأي شخص عادي.. ولكن توتري أثناء الاستجواب جعلهم يشكون أكثر وأكثر ويعودون مرة أخرى بإذن لتفتيش المنزل..

ثم بعد ذلك وجدت نفسي في هذا الموقف وفي سيارة الشرطة مقيدًا بالقيد الحديدي بعد التأكد من أني قاتل جاري العزيز على الرغم من أني لم أنطق بأي كلمة..

وقد كدت أجن أكثر من جنوني المعتاد.. فقد كانت الجريمة كاملة.. ترى ما الذي ارتكبته من خطأ؟!!

كلما فكرت لا أجد أي خطأ في الأمر..

لا يوجد..

لا يوجد..

لا يوجد..

آه.. نسيت أن أقول لكم شيء مهم ...

فأنا انسان مهمل بطبعي ويبدو أن الشرطة قد اكتشفت وجود قطعة حبل طولها ثلاثة أمتار بها ثلاث عقد من نفس نوع الحبل المشنوق به جاري العزيز ملقاة بإهمال داخل كيس القمامة الخاص بي منذ عدة أيام!!!!

تمت

موعد على العشاء

(إن لكل منا سرة الخاص..وبالتالي فأن المرء ليجهل حقيقة اقرب الناس إلية...وأعزهم على قلبه .....)

فيتز ويليام

كانت الزوجة الشابة في اشد حالات الفزع والانهيار و هي تحاول أن تتمالك نفسها لتروى على زوجها ما حدث خلال الساعة الماضية... كان المشهد بأكمله ضربا من ضروب الخيال.. فالاثنان متواجدان داخل حجرة طعام واسعة الجنبات بإحدى الضواحي الجديدة.. وكان عاصم يحاول تهدئة زوجته التي لازالت نظراتها مستمرة إلى أرضية الممر الفاصل بين حجرة الطعام والبهو الرئيسي للفيلا حيث توجد هناك جثة رجل في أوائل الستين من عمره جاحظاً عيناه بصورة مرعبة مرتديا بدله فاتحة اللون وقد لطخت بدماء كثيرة اثر عيار ناري أحدث ثقبا في صدره...

كانت الساعة تشير إلى السابعة و أربع دقائق مساءا في ذلك الوقت و قبل هذا الميعاد بنصف ساعة تلقى عاصم اتصالا هاتفيا من زوجته تخبره بهذا الحدث.. فعند رجوعها إلى البيت فوجئت بخالها أكرم

ممددا في الردهة و يده على صدره ومتحشرجا بصورة مخيفة وعندما اقتربت سريعا منة وحاولت أن تفهم ما يقول لم تعي سوى قتلني... المجرم.. ومات من ساعته.. لم تدر ماذا تفعل سوى الاتصال بزوجها الذي آتي مهرولا ليجد هذا المشهد المروع.

عاصم - طيب أنتي بس ازاى لقيتية هنا..؟ ومين إلى فاتحلة...؟ وأنتي بتقولي انك جاية بعدة.؟

علا - معرفش أنا جيت و فتحت الباب سمعت حد بيتألم (تحاول أن تتمالك نفسها من البكاء و هي تقص ما حدث على زوجها) جريت على الصالة لقيت خالي (وتدخل مرة أخرى في نوبة البكاء)

عاصم – يعنى ملقالوش موته غير هنا..؟ كده ودانا في ستين داهية زى ما نكون ناقصينة.

علا- أنا السبب أنا إلى عزمتة على العشاء انهاردة زى ما قلت لك عشان أحاول أصلح بينكم و أحاول افتح لك مجال شغل تانى معاه..

يا حبيبي يا خالي أنا السبب... نعمل أية دلوقتى ممكن بقي نبلغ الإسعاف والشرطة؟

عاصم – إسعاف أية بس دا شكله خلص من ساعة واكتر... يقترب بحذر من جثة أكرم يدور حولها وكأنة يبحث عن شي ما .. يعود يائسا... لا... أنا مش عارف اعمل أية دلوقت..؟ مخدتيش بالك قالك أية تانى ؟

علا- حاولت افهم مقدرتش اعرف غير كلمتين قتلني... المجرم.. ممكن بقي تتصرف يا عاصم وتقوم تبلغ الشرطة...

عاصم – اصبري بس.. أنا خايف البوليس يفضل يسأل و يسأل و هيقول ازاى دا دخل..؟ و مين إلى فاتحلة..؟ و كان مع مين..؟ و مين إلى قتلة..؟ و يرجع يقول مين اعدائة ولا مين إلى كان له مصلحة في قتلة.. (ينظر بريبة إلى زوجته)

علا- يا عاصم مش مهم الكلام دا من فضلك... أكيد الشغالة قبل ما تروح فتحت له الباب و مشيت.

عاصم – إحنا بس عايزين نرتب هنقول أية للشرطة..؟

علا- نقول أية ؟؟ هنقول إلى حصل طبعا..

عاصم – يا سلام..!!! ازاى هنقول أن أنا وخالك ما بنطقش بعض... ولا ازاى هنقول انه طردني من أخر مرة زرناه أساسا.. ولا ازاى هنقول انه كان رافض جوازي بيك من الأول.. ولا لما مرة واحدة صابة خبل و أتهمني بسرقته لما أتشاركنا في المشروع بتاعنا سوا.. ولا أنتي ازاى هتقولى انك وريثته الوحيدة وأن بموته كل ثروته هترجع ليك أنتي وأختك المتخلفة.. ولا ازاى هنقول... تقاطعة علا في حدة- استني استني تقصد بأية إني وريثته الوحيدة يا عاصم تقصد إني قتلت خالي مثلا...؟

عاصم – لا مقصدش أنا بتكلم بس من وجهة نظر البوليس ممكن يفكروا في كده وإذا كنت أنا كمان متخانق معاه هيعرفوا أن أنتي كمان اتخانقتى معاة لما غضبتي وطفشتى من البيت و قلت بيت

خالي أولى بيا و رحتى تقعدي عنده مطقتهوش و سبتي البيت ورجعتي تانى زي الكلبة و قلت انك عمرك ما هتكلمية..

علا – مالوش أي لزوم الكلام دا.. محدش عارف ظروف حد .ممكن بقي تبلغ الشرطة..؟ وعشان تكون فاهم لو أنا إلى قتلته ساعتها مش هورث أي شي زي ما ببقول الشرع.. أنا مليش مصلحة أبدا إني اقتله.... أنت سامعنى يا عاصم..؟

كان عاصم لا يزال يحدق مذهولا في شي اسفل كرسي الصالون الكبير عندما جفل على صوت علا تنادية.. قام مفزوعا مادا يده تحت الكرسي ليأتي بمسدسة الملقى على الأرضية دون أن يلاحظه أحد.. ليبدوا وكأن الطلق الناري خرج منة إلى صدر اكرم..

عاصم – (بهستريا) وأدي مصيبة كمان يعنى القاتل محبكش يقتلة إلا بالزفت دا؟

علا- منتا إلى سايب الزفت دا دايما على رف المكتبة زي ما تكون بتتباهى بمسدس أبوك..؟

عاصم – محدش غيرنا كان يعرف بمكانة (ينظر إليها بشك)

علا وقد بدأت الارتياب بدورها ردا على ظنونه ولكنة عندما رأى نظراتها قال

- أنتي هتشكى فيا كمان ؟

بدا عاصم في التوتر واخرج منديلا ليمسح حبات العرق التي تناثرت على وجهة محدثا بصوت متهدج:

- يا نهار اسود قتيل في بيتى و بمسدسي و بيني وبينة مشاكل والبلد كلها عارفة و مراتى هتورث كل ثروته أنا كده المشتبه فيه الأول.

علا- يا عاصم من فضلك أنا مش قادرة استحمل الكلام دا.. أنا هبلغ الشرطة أنا مش عارفة أنا مبلغتهاش من ساعة ما شفته ليه..؟ أنت اللي قلت لي اصبري بس أما اجى اصبري بس أما أجي واديك جيت و انت اللي عمال تحقق.. بلغ الشرطة وهيا اللي هتحقق وارحم نفسك وارحمني من فضلك.

عاصم – (يجرى مفزوعا إليها) اصبري لما أفكر.. يدور في أنحاء الغرفة قائلا – دلوقتى خالك جه قبل ميعاد العشاء فتحت له الشغالة و قعد لما ملقاش حد ولا يمكن حد كان هنا واستقبله و الحد دا كان عارف أنا شايل مسدسي فين وكان عنده برضة سبب انه يتخلص من اكرم..

علا- لاحظ أن مفيش غير أنا وأنت نعرف مكان المسدس دا.

عاصم – لا.. وأختك المتخلفة عقليا كمان.. والشغالة .

علا- لو سمحت متقولش كده على نيفين.. حرام عليك.

عاصم - (ويكمل ما بدأة من حديث) أنا مصدقت إني خلصت منها ومن قرفها ولقيت مستشفى تقبل علاج الهبل اللي في عيلتكم دا مش عارف أية نظام علاجي إنها لازم تبات هنا يومين.. تقدري تقولي هيا فين .؟

علا – في المستشفى أنا كنت جاية من هناك بزورها قبل ما اجى على البيت.

عاصم – طيب دلوقتى بقي شوفي هنقول إيه.. هنقول مثلا يعنى إننا كنا عازمينه على العشاء و بعدين جتله حالة هياج و قام ضربك مثلا.. ولما جيت أدافع عنك مسك السكينة اللي قدامه على الأكل وحاول انه يقتلني وبعدين...

تقاطعة علا بحدة – لا طبعا خالي عمرة ما يعمل كده..

عاصم – يا بنتي أفهمي أنا بقول مثلا يعنى ها...

علا- ازاى تانى طيب فهمني..

عاصم – هنقول إننا كنا بنتكلم على مشروع جديد هنتشارك فيه.. ها.. وبعدين انه جاب سيرة المشروع إلي فات.. ولما أنت وقفت في صفى ضربك على وشك.. ولما جيت أدافع عنك مسك السكينة اللي قدامه وحاول أنه يضربني بيها في صدري إلا إني جريت وجري ورايا وحاول يخلص عليا ملقتش قدامي ف درج المكتب إلا مسدسي..

علا- هو كان ف مكتبك ولا على رف المكتبة.

عاصم – با ستى كان على الرف المهم..

علا- أنا مش فاهمة حاجة خالص.. من فضلك نبلغ البوليس احسن.. (تهم بالقيام إلي الهاتف)

عاصم – وقد بدا في الهياج.. قلت لا (يدفع علا بقوة فتسقط على الكنبة)

هتفهمى.. وهتعملى إلي بقولك علية وإلا أنت عارفة أنا هعمل فيكي أية.. دلوقتى أنا هضربك على وشك كان خالك هوا اللي ضربك و بعدين أنا جيت أدافع عنك حاول انه يقتلني فهمتي...؟ ولا هفضل اشرح طول الليل..؟

علا (بخوف) – لا..

عاصم وقد هوى بلطمة من يده بكل قوته على وجهها مما جعلها تهوى على أرضية الغرفة وقد نزفت الدماء من انفها بغزارة.

عاصم – دلوقتى الضربة دى كأن خالك إلي ضربك وأنا كنت بدافع عنى وعنك ها..؟

علا- (قد وضعت منديلا على وجهها وبصوت نحيب) ايوة خلاص فهمت .

عاصم – دلوقتى أنتي هتمسكى السكينة دى وهتعورى كتفي من هنا (يشير إلي أعلى كتفه) بس بالراحة فهمتى...؟

علا- لا طبعا.. أنا بخاف من منظر الدم.

عاصم – مش وقتة.. أفهمي منا مقدرش اعور نفسي.. وإلا الطب الشرعي ممكن يثبت أن أنا إلي ضربت نفسي من طريقة توجيه نصل السكين فلازم يكون الجرح حاصل من حد قدامى.. فاهمة... لا طبعا..

علا- (بكاء) أنت اتعلمت الحاجات دى فين.. خلاص أنا مقدرش.

عاصم – لا هتعملى زي ما بقولك مهى لو أختك العبيطة كانت بايتة هنا الليلة كنا ممكن نلزقها فيها وأهي كده كده في المستشفى المهم هتمسكي السكينة كده وتفتحي كتفي وبعدين نجيب السكينة نحطها في ايد خالك وأجيب أنا المسدس وكأني بدافع عن نفسي .

علا- حاضر حاضر بس أنا هفتح كتفك بس إنما الحاجات الباقية دى ماليش دعوة بيها أنا مقدرش أروح ناحية خالي...

يقاطعها عاصم طيب خلاص خلاص دلوقتي قومي بسرعة حطي الأكل على السفرة وكأن فيه تلات أشخاص هياكلوا..

وتذهب هي لإعداد مأدبة العشاء وكأن الميعاد لازال ساريا بينما هو يقترب خلسة من اكرم موجها كلامة إلية :

- باتري قلت لها إيه يا اكرم الزفت.. دلوقتى بقيت حنين عليها..؟ منتا طول عمرك حرامى وواكل ميراثها وعامل نفسك وصي على أختها.. دلوقتى لما اتصلت بيك جاي تجرى..؟ احسن اديك جيت لقضاك.. ما كنا كويسين في مشروعنا.. لازم يعنى تطلعني حرامى..؟

يفيق على نداء علا بأن كل شي في مكانة يعود إليها ليشرف على إعداد المشهد الأخير ..

أخيرا جلس إلي جوار زوجته وهى لازالت تضع منديلا تضغط به على انفها لتكتم به الدماء التي لا زالت تسيل منها.. محاولا إفهامها

للمرة الأخيرة الدور الذي ستلعبة خلال الدقائق القادمة.. تصغي اليه بكل هدوء.. تمسك السكين وهى لا زالت ترتعد خوفا من شي ما داخلها.. تترجاه ألا تفعل.. ينهرها مرة أخرى.. تطلب منه أن يغمض عيناه فلا تجرؤ على النظر أليهما.. يغلقهما.. وبيد مرتعشة تمسك السكين للمرة الأخيرة.. لتوجهه بطعنتين قاتلتين في الصدر والبطن.....

يدق الهاتف في الجهة المقابلة

- ايوة يا أفندم... (بكاء).. أنا مدام علا الاسيوطى... عايزة ابلغ عن جريمة قتل في فيلتي... ايوة جريمة قتل حصلت من ساعة... كنت مغمى علي.. ولما فقت لقيت... ايوة اللي حصل.. أن جوزي أثناء وجود خالي عندنا.. حاول يضربني كعادته.. ولما حاول خالي يمنعة قامت خناقة كبيرة بينهم.. وكنت جريت على اوضتى عشان ميكملش ضربي... ومرة واحدة سمعت صوت طلق ناري.. نزلت الدور إلي تحت أجرى...(بكاء)..لقيت خالي ببقولي قتلته..

وريحتك وريحت الناس منة وكان ماسك في ايدة سكينة.. ومات بعدها بثانية.. وقدامه لقيت عاصم.. ايوه عاصم جوزي.. مرمى على وشه وهدومه كلها دم.. مستحملتش المنظر أغمى علي... ايوة.. حاضر مش هلمس حاجة لغاية أما النجدة تيجي.. أتفضل العنوان اهو.....

تعود مرة أخري إلي الجثتين لتتأكد من دقة إخراج تفاصيل جريمتها... وهى لا زالت تضع منديلا..... على انفها المكسور...

تمت

شالية 166

ماذا يخسر أو يخشى الغرقى في قاع البحر..؟ أو الأشلاء
والعظام المعجونة بين عجلات المركبات..؟ بل ماذا يخشى الموتى
ولو كانوا على قيد الحياة..؟

عمرو

هل حدثت لك من قبل مثل تلك الأشياء..؟ عندما تدخل إلى مكان لأول مرة وتقسم داخل نفسك انك رايته من قبل في وقتٍ ما ..

أو عندما ترى شخصاً لم تصادفه من قبل و تشعر انك تعرفه وتحدثت إليه في زمانٍ ومكانٍ ما..؟

أو يحدث لك حلما وتراه واقعاً في الأيام التالية..؟

هذا ما يحدث لي أحيانا ولكن ليس بصورة مستمرة حتى لا أصاب بالجنون ولكن ما حدث لي هذه المرة قد يدفعني إليه لأنضم كبعض أفراد العائلة والذي قيل لي إن احدهم قد أصيب به من قبل.

المهم ما حدث لي كان غريبا فعند رجوعي المعتاد إلى الإسكندرية قررت أن اقضي عده أيام داخل إحدى الشاليهات المنعزلة عن الناس والتى تطل على البحر وتقع قريبا من عشش الصيادين ثم

أتوجه بعد ذلك إلى زيارة أحد أفراد العائلة هنا في الإسكندرية وبمجرد دخولي إلى الشالية انقبض قلبي دون سبب واضح وشعرت وكأن هناك روحاً في الجوار بل شعرت بأنفاس لتلك الروح تلفح وجهي أكثر من مره.

كنت دائما اشعر بالأرواح الهائمة تلك الأرواح التي ماتت في ظروف غامضة والتي لم تهدأ ارواحها بعد ولا ادري لماذا اوقعنى حظي في هذا الشالية بالذات..؟

كانت هناك أشياء بسيطة هي التي أكدت لي ذلك فعند خروجي من الشالية ليلا و بمجرد نزولي درجات السلم انظر خلفي لأجد الآنوار تضاء من تلقاء نفسها أو أجد مياه تتساقط من أحدى الأحواض على الرغم من غلقه أكثر من مرة طوال الليل وفى احد المرات عند رجوعي اقسم أنى رأيت شخصا مستلقيا على احد الآسرة في الغرفة المقابلة لغرفتي وعندما اضات النور لم أجده وكنت دائما اسمع همسات ليلا بتوسلات مع صوت بكاء مستمر

كان من الممكن الاعتياد على تلك الإحداث البسيطة إلا ذلك الكابوس الذي رأيته من احلامي أمس وبسببه حزمت حقائبي داخل السيارة مصمما على العودة إلى القاهرة ولكن قبل إن أتوجه إليها توجهت إلى المكان المخصص للصيد في احد الآنحاء النائية على شاطى البحر وتلك الآنحاء التي اعرفها جيدا كنت اعلم تلك الطرقات و اعرف أشخاصها وأحيانا مراكبها وقادتني قدماى إليها وأنا لازلت مستغرق في تفكير عميق من كابوس الأمس و الذي جعلني اشعر بحيرة شديدة..

ساقتنى قدماى للجلوس بالقرب من احد الصيادين والذي كان مستلقيا على شاطى البحر محتميا ببطانية قام بفردها على خشبة عالية لتحمية من أشعة الشمس تاركا صنارته منتصبة غارزا طرفها في الرمال وحبلها المؤدى بعيدا إلى داخل البحر.

جلست بهدوء على الرمال متذكراً أحداث ذلك الحلم الغريب الذي راودني فلقد رأيت الشخص الذي لمحتة داخل الشالية ..

رأيته امامى وتجسد الحلم الذي تحول إلى فيلم سينمائي تماما وبدأت أحداث فيلمي هذا بدخول الرجل الغريب إلى الشالية الذي كنت مقيم فيه ولكن تلونت الجدران بلون مختلف وتغير الأثاث إلى طراز عتيق حتى الأشجار الكبيرة التي تقع أمام النافذة رأيتها قد تضاءلت كثيرا ليظهر مشهد البحر بوضوح من خلفها.. أرى الرجل وقد خرج من الشالية هابطا درجات السلم وأنا وراءة دون أن يشعر بوجودي.. يسير الرجل فأسير وراءة يتوقف اتوقف.. يجلس وهكذا حتى تصل قدماه إلى مكاني هذا ليجلس تماما بنفس جلستي مراقبا أحد الصيادين هو الأخر والذي نظر إليه مندهشا من مراقبتة لة و بدا في محادثته

- حمدا الله على السلامة يا سيدى... من اين اتيت..؟
- سلمك الله.. انا من القاهرة
- كل عام وانت بخير.. لقد رحل الناس جميعا ويبدوا انك اتيت متاخرا.. اتعلم هذا الشاطىء لم يكن يخلو ابدا من

المصطافين طوال الخمس شهور الماضيه.. والآن اذا امتد نظرك الى مالا نهايه فلن تجد الا بضع من الصيادين فقط..

- نعم هذا صحيح لقد اتاخرت كثيرا في الحصول على العطله السنويه لى.. ان ذلك اصعب ما يكون لدينا فى المشفي الذى اعمل به.. فانا طبيب اسنان بالاضافه إلى طبيب اخر و لذلك من الصعب دوما الحصول على عطله طويله وعند حصولى عليها ها انا ذا متاخرا عن الكافه..

(يضحك الطرفان وأنا جالس مستمعا بينهم دون بالطبع إن يروني و يقوم العجوز ليدخل عشتة الصغيرة القائمة إلى جوارنا ليعود بكرسي خشبي يقدمة للطبيب)

- تفضل يا دكتور لا تجلس على الرمال والا توسخت ملابسك
- شكرا يا عم.... ما اسمك ايها الرجل الطيب.؟

- أسمى صالح
- شكرا يا عم صالح.. والآن اخبرنى هل تصطاد جيدا على الشاطى..؟ اعتقد ان الصيد يكون بوفره فى داخل البحر
- يا سيدى أنا صياد والدى كان صياد ايضا وكل اسرتنا توارثت تلك المهنه ولدى قارب صغير ولكنى لا ابحر به كثيرا الى داخل البحر الا مره كل شهر تقريبا.. ولكن اتعلم يا سيدى.. اوقات كثيره جدا يكون الصيد على الشاطى اثمن بكثير من الصيد داخله كل ما عليك هنا ان تضع هذا الطعم فى نهايه تلك الصناره وتلقي بها الى البحر ولا تعلم ما الذي ستصطاده.. كل ما عليك هو الصبر.. والصبر فقط.. اما هنا على الشاطى فأنت تضغ الطعم وتلقي الصنارة بالقرب منك وتصبر ولكن انت متاكد من نوعيه الصيد الذى ستسوقه الاقدار لك.. المهم فقط أن تصبر

- حديثك ممتع ايها العجوز..
- وأنت يا سيدى هنا وحدك ام مع افراد اسرتك ..؟
- لا لا ايه اسره ايها الرجل الطيب.. لقد اتيت بمفردى وانتهزت تلك الفرصه بمجرد دخول الاولاد الى المدرسه.. وزوحتى دائمه الشجار.. اما العمل واه من العمل الذى ليس هناك اى راحه منه فى تلك المستشفى اللعين وفى اول فرصه اخذت ثلاثه ايام فقط لإراحة اعصابي المتوتره.. وهناك احد الاصدقاء يملك شاليه هنا فاخذت منه المفتاح وها انا فى اول ايام عطلتى يا عم صالح.. واصدقك القول المكان فى منتهى الروعة والهدوء كل ما يقلقنى هو امكانية شراء عده متطلبات لانى كنت اظن ان هناك اى محلات بقاله هنا لكن يبدو ان الكل اغلق..

- نعم يا دكتوي فاغلب تلك المحلات تفتح فقط فى الاجازه الصيفيه وبحلول الشتاء لا تجد الا احدهم فقط.. اترى هذا الجامع البعيد بجواره محل قد تستطيع شراء ما تحتاجه منه الايام القادمة.. اخبرنى اين تقيم ياسيدى..؟
- الشالية امام مدخل البحر اتعلم تلك العمارة الكبيرة الحمراء بجوار المدخل هناك بجوارها عده شاليهات زرقاء اللون أنامقيم في شالية ١٦٦
- عظيم جدا.. اسمعنى جيدا أنت اليوم ضيفى سأطهو لك سمك طازج لم تتذوقه من قبل بحياتك..
- لا لا ضيف ايه.. شكرا جزيلا يا عم صالح.. ساتركك الآن والحق بهذا المحل قبل ان يغلق..

- لا لا لا.. كيف تقول ذلك..؟ اننا اهل كرم هنا وتلك عيب كبير اذا تركتك ترحل.. اجلس فقط وتناول كوب من الشاى الدافى.

(يدخل العجوز إلى عشتة مرة أخرى ليعد الشاي تاركا الطبيب ممسكا بعصا خشبية ويخط بها بأحرف على الرمال و عدة أرقام نظرت إلية دون وعي لأجده يكتب ١٦٦ على الرمال.. يسعل العجوز وهو خارج حاملا صينية صدئة رصت عليها ثلاثة أكواب)

مد الطبيب يده لياخد الكوب من اليد الممدودة إلية قائلا بدهشة

- ولمن هذا الكوب الثالث يا عم صالح...؟
- هذا لولدى الذى قمن بالندارء عليه ليذهب سريعا ليبتاع لك ما تريد من اشياء بسيطه..

- لا لا لا ليس الكرم الى هذه الدرجه.. اعذرنى لأن فعلا وقتى ضيق ساتناول فقط هذا الكوب الدافى واما سمكك الطازج فلتحتفظ لى به المره القادمه..

(كنت على وشك الرعب لو قال العجوز للطبيب أن الكوب الثالث للشخص القادم معك أو الجالس بجوارك.. ولكن الحمد لله فكنت لهذة اللحظة شبحاً لا يشعر بي احد مع العلم بأن كل ذلك داخل الحلم.. كنت أتحرك داخل المشهد بأكمله كنت أتقدم منهم وابتعد و أحيانا

اقترب من العشة إلى كنت اشعر أنى رايتها من قبل كعادتي المجنونة.. كنت اتركهم لحديثهم الممل واخترقهم كانني هواء.. كنت... وهنا حدث شيئا مفزعا فقد هوى الطبيب من على كرسيه إلى الأرض جثة هامدة...

***

يتغير ديكور المشهد بالكامل امامى لأجد نفسي روحاً تسكن مركباً في عرض البحر بداخل احدى المراكب القديمة متوسطة الحجم.. كنت أقف في المقدمة أحاول أن انظر إلى البحر الذي لم يظهر منه سوا ظلام دامس.. كان يوجد خلفي غرفة صغيرة بلا زجاج امامى وكانت تحتوى على آلات إدارة المركب وكان السكون هو ما يخيم على اللوحة بأكملها فلا يوجد صوت سوى الصوت الخافت للأمواج والتي كانت تتكسر على جوانب المركب المتوسطة الطول. فزعت عندما سمعت صرخة عالية تأتي إلي من خلفي التفت سريعا إلى ما خلف الغرفة لأجد الطبيب مقيدا بحبل غريب اللون من يديه إلى قدميه ويمتد إلى مكان خلف الطبيب في الجهة المجاورة للغرفة الخشبية والتي لم استطع النظر إليها كان الطبيب لا يزال على صراخة المستمر وبجوارة شاب يبدو من هيئتة أنة محتل عقليا لأنة كان يضحك ببلاهة شديدة وهو يغرز إبرة طويلة في خد

الطبيب ولا ادري إن كانت هي عادتي التي ضجرت منها عندما شعرت أنى رأيت هذا المعتوة في زمن ما...

كنت أحاول أن أفيق من الكابوس ولا ادري كيف ولم استطع وكأنه مقدر لي أن استمر في الحلم إلى ما لا نهاية...

وعندما كان الطبيب في قمة صراخه الهيستيرى كان العجوز في هذا الوقت قد خرج من الغرفة الخشبية وهو يضحك ملء شدقية

- هههههه اعذرنى يا سيدى اخبرتك للمرة العاشرة خلال الخمس دقائق الماضيه ان تتحمل.. انه لا يقوم من مخدعه الا فى هذه الاوقات فقط

وينظر بشفقه الى الشاب المختل قائلا بحنو بالغ..

- العب يا ولدى رفه عن نفسك.. اضحك ملء شدقيك.. اانت سعيد الآن..؟

(يضحك الأبله من كلام العجوز الذي وجهه إليه ويفتح فمه ليطلق صريخاً حاداً يكاد يصم الآذان وهو يجرى حول الطبيب)

- حرام عليك يا عم صالح ماذا فعلت لك لتعذبنى بهذا الشكل.؟ (يقولها الطبيب بعيون باكية وفم ملى بالدماء و هو يتوسل إلى العجوز)

- وانا ايضاً يا ولدى لم افعل هذا متعمدا كل ما هنالك انها تسليته الوحيدة اتعلم هو الآن في منتهى السعادة لدرجة انه يقيدك بأعز حبل عنده.. هذا الحبل يا دكتور كان فى مركب صيد فرنساوى و صاحبه كان فى مكانك ومقيد فى نفسك مقعدك.. لا تغضب يا سيدى تلك عادة و اتمنى من الله أن نشفي منها

- عاده..!! اى عاده تلك التى ستجعلنى الفظ انفاسي الأخيرة من هول ما اراه.. بالله عليك فك هذا القيد.. اخبرنى ماذا تريد..؟ سأعطيك اضعاف ما تطلبه..؟ لن اخبر احدا بما حدث.. فقط اطلقنى يا عم صالح.. لقد نسيتك بالله عليك.. لا تخشانى.. لكن ارحمنى

(يحاول الطبيب باستماتة فك قيوده من الحبل الملون دون جدوى ويطلق صرخة الم حادة مرة أخرى عندما جلس الأبله على ركبة الطبيب غارزا مفك حديدي داخل فم الطبيب محاولا خلع اى سنة وعندما يغلق الطبيب فمة وبقوة يغلق الأبله انف الطبيب حتى يكتم انفاسة ويفتح فمة مرة أخرى وهكذا)

يجلس العجوز على أرضية المركب ضاحكاً قائلا –

- على مهلك يا ولدى.. ستقتل الطبيب.. سيموت منك.. اعذرنى يا دكتور فلقد اخبرته انك طبيب اسنان.. وهو يريد تقليدك فقط (ويضحك مرة أخرى)

يصرخ الطبيب – كفي كفي يا صالح

- ان اسمى ليس صالح من الأساس يا دكتور
- لا يهم الاسم لكن دعنى من فضلك

- لا اقدر يا سيدى.. من داخلى اقسم لك أنى اتمنى أن افك اسرك وادعك لشانك ولكنى لا اضمنك.. أنت صيد ثمين الم اخبرك صباحا إن الصيد على البر أوقات يكون أغلى بكثير من الصيد داخله.. قبل ما نحضرك هنا على المركب ارسلت ولدى الآخر إلى الشالية الذي تقيم به واخذنا كل ما هناك ولا يوجد أى أثر اساساً أنك قد حضرت أو حتى حقيبة ملابسك.

يصرخ الطبيب وهو ينظر إلى الأبله في هلع و هو يأتي من الداخل فرحا وبيدة كماشة مما تستخدم في خلع المسامير ليجلس على ركبة الطبيب قائلا في توسل طفولى

- اتح ...اتح بقك...

وطبعا لم يزد ذلك الطبيب إلا إغلاق فمة أكثر وبمنتهى القوة... فيدور الأبله خلف الطبيب في يأس ويمسك بالكماشة أحدى إطراف أصابعه ويضغط بكل قوة ليصرخ الطبيب من الألم عندما

يبتر الأبله اصبعة الصغير ويمسك بالإصبع ليمسح بدمة وجة الطبيب في مشهد مقزز كاد أن يدفعني إلى الغثيان وسط كابوسي هذا)

- اعذرنا يا دكتور اخبرتك أن تلك تسليته الوحيدة هو دائما طريح الفراش ولا يقوم إلا عندما احضر له صيد ثمين مثلك هكذا.. يقوم باللهو حتى يتعب و يذهب إلى النوم وهكذا.. تحمل قليلا وسوف ترتاح اقسم لك.. اتعلم انا اكون فى منتهى السعاده عندما اجده يلهو ويضحك هكذا.. ان فى صغره اصيب ب..
- أستخبرنى بقصة حياة ذاك المعتوه ايها الأبله.. ليس لي أى شأن بكما ايها المخبولان.. اني انزف وسأموت فى الساعة القادمه إن لم يقف هذا النزيف..

(كنت مشمئزا من الموقف باكملة وخاصة عندما بدا الأبله يغرز كماشتة اللعينة فعلا في احد أسنان الطبيب ليطبق عليها بمجرد أن

فتح فمة..كان الوقت يمر والصراخ يزداد وأنا يكاد أن يغشى علي داخل كابوسي هذا لم أقوى على احتمال مشهد التعذيب و الدماء والصراخ الملتاع من الطبيب و صرخات الأبله الهستيرية كلما كسر سنة للطبيب الذي اختلط نجيبة ببكائة وأنا معة..كنت أحاول أن اشغل نفسي عن اى شي أخر غير هذا المشهد حاولت أن انظر إلى الحبل الملون الذي يحبة الأبله كان حبلا مصنوعا من خيوط عجيبة الشكل كنت اشعر من ملمسة أنى رايتة من قبل كنت انظر إلى امتداد الحبل إلى مكان ما بجوار الجهة المقابلة للغرفة الخشبية ولكني فزعت عندما رأيت أن نهاية الحبل مقيدة بأحكام إلى كتلة إسمنتية ثقيلة الوزن وخلفها كان البحر تماما بلونة الكئيب لان العجوز قد اخلع جدار المركب من هذة الناحية ليسمح بسقوطها هيا ومن ربط بها..

كانت الإحداث التالية متوقعة وعبثا حاولت أن احل هذا الحبل من الكتلة دون اى جدوى..فانا لازلت هواءا داخل حلم.. كم

حاولت او اوقظ نفسي منه.. كنت اسمع من خلفي بكاء الطبيب وتوسلاتة و بكائة وتذكرت وقتها أنها نفس الصوت ونفس البكاء و نفس التوسلات التي كنت اسمعها ليلا في الشالية...

التفت لأرى الأبله جالسا إلى الأرض وإمامة عدة أجزاء من أسنان الطبيب الدامية ويقوم من جلستة فور إطلاق العجوز لصفارة من فمة الكرية و يقوما معة ليتوجها ناحيتي ويقتربا من الكتلة الإسمنتية ويجلسان بجوارها مستندان بظهرهما إلى الحجرة الخشبية وارجلهما معلقان إلى الكتلة الإسمنتية يضحك الأبله ويومىء للعجوز وكأنهما على اتفاق فيما سيفعلان... يضحك الطرفان في سعادة ويومىء كل منهما إلى الأخر.. ينظران إلى الطبيب الذي كانت الدماء لازالت تتزف من فمه على وجهه وقميصه ..كان يراهم دون أن يرى الكتلة الأسمنتية ولكنة شعر أن في الأمر مصيبة اكبر.. حاولت أن اصرخ دون اى جدوى.. يلصق الطرفان اقدامهما أكثر إلى الكتلة الأسمنتية في نشوى.. يدفعان قليلا.. تتزاح الكتلة عدة سنتيمترات تجاة السور

الخالي للمركب... يدفعان أكثر فأكثر.. يصرخ الطبيب في هلع عندما يرى من مكانه الكتلة و بها أخر طرف من الحبل الملون المقيد به و قد أدرك أخيرا ما انتوياه.. يدفعان أكثر.. يحاول الطبيب في استماتة التخلص من قيوده دون أى جدوى.. اصرخ أكثر وأنا أحاول أن أمسك بتلابيبة.. يدفع الطرفان أكثر فأكثر فأكثر لتقع الكتلة بدوى صاخب في البحر.. يصرخ الطبيب في أسى و هي تسحبة إلى داخل البحر أحاول أن افعل أى شيء دون أى جدوى تتحول صرخات الطبيب إلى فقاعات و فقاعات و أنا انظر إليها من فوق المركب وشعرت في تلك اللحظة على الرغم من النهاية المأساوية للرجل إلا أنه الآن قد رحمه الله من هذا العذاب البشري في يد هذان المخبولان فلم يطل عذابه أكثر من ذلك..فهو الآن لن يشعر بأي ألم أو أذى فماذا سيخسر الآن وقد خسر حياته..؟ ماذا يخسر أو يخشى الغارق في قاع البحر..؟ أو الأشلاء والعظام

المعجونة بين عجلات المركبات..؟ بل ماذا يخشى الموتى ولو كانوا على قيد الحياة..؟

كان الأبله يضحك في سعادة وكان وجهه إلى جواري تماما في هذه اللحظة الذي وضحت معالمة في ذاكرتى ووضح وجهة وأكاد أن اقسم أنه رآني لأنه مد يدة نحوي في بلاهة صارخا :

***

أفقت من تاملاتى قبل أن أتذكر بقية الكابوس على صوت الصياد الذي جلست إلى جواره وهو يقفز من مكانه تحت البطانية المنشورة ليسحب صنارته وقفت أنا الآخر مندهشا من كيفية علمة و شعوره بالصيد ليجد الصياد في نهايتها سمكة تقارب الخمسة كيلو جرامات قائلا في سعادة:

- إن فألك حسن يا مروان بك لم اصطاد تلك السمكه منذ عده شهور.

ابتسمت و شكرته لأتمشى قليلا وسط عشش وطرقات الصيادين لاقترب من عشة صغيرة تقع على أخر الزقاق وفتحتها في هدوء لأجد عمى مستغرقا في النوم العميق كعادته..

كان العجوز فى مخدعه فاقتربت منه و ربتت على يده في صمت.. كنت ازوره كلما سنحت لي ظروفي أن آتي إلى الإسكندرية وزادت هذة الزيارات بعد وفاة أبى الذي قد اوصاني عليه بعد أن اصابة مرض في العظام وأصبح لا يقدر على القيام بأي عمل.. كان دائما يوصيني بحسن معاملته على الرغم من ترك أبى الإسكندرية و نزوحه إلى القاهرة منذ أكثر من أربعين عاما ونتيجة لهذة الوصية كنت ازورة في مرات عديدة لأترك له ما قد يسد به رمقه ومساعدته في ظروف الحياة..

انتظرت في هدوء إلى أن يفيق من نومه.. أوقدت الشعلة لأعد لنفسي كوباً من الشاي وجلست وانتظرت طويلاً طويلاً متذكراً ما كان الأبله سيقوله لي في الكابوس أو أين رأيت هذا الأبله من

قبل.. دون اى جدوى أفقت من تأملاتي عندما وجدت بجوار سرير عمي كتلة من الحبال التي تستخدم في ربط قلاع المراكب و لكن ما لفت نظر هو وجود قطعة حبل صغيرة لا تزيد عن متران ولكنة كان نسخة طبق الأصل من الحبل الملون الذي قيد به الطبيب.. قمت إلى الحبل و اندهشت من الشعور بالراحة الغريب جدا الذي انتابني وأنا اصنع مشنقة صغيرة من ذلك الحبل وأنا أضعها بهدوء شديد حول رقبة عمى الذي عرفت أين رأيته قبل ذلك...

تمت بحمد الله